النزاع البيزنطي الفارسي في الربع الأول من القرن السابع الميلادي (602- 628م)

د. أرواد العلان*

الملخص

يتناول البحث الصراع البيزنطي الفارسي في الربع الأول من القرن السابع الميلادي، فيعرض الأسباب التي أدت إلى الحرب بين الطرفين، والتي تجلت برغبة الملك الفارسي بالتوسع على حساب بيزنطة، وبخاصة أنه تمكن خلال فترة السلم التي شهدتها نهاية القرن السادس،إذ وطد أركان دولته الداخلية وحسن أوضاعها بمختلف المجالات، ولا سيما الجيش الذي أصبح في مطلع القرن السابع الميلادي جاهزاً لتحقيق طموح الملك الفارسي بالتوسع، وتحقيق أحلامه بالسيطرة على الشرق.، فاستغل التمرد الذي قاده فوكاس ليبدأ حرباً امتدت لأكثر من عقدين من الزمن.

وقد استعرض البحث الحروب التي شهدتها المنطقة في العقد الأول من القرن السابع وبخاصة اجتياح الجيش الفارسي للجزيرة الفراتية، ومحاصرة آمد ومحاولة البيزنطيين رد الهجوم الفارسي بشتى الطرق، كذلك توسع الجيش الفارسي في آسيا الصغرى ومحاولات فوكاس الفاشلة التصدي له، وما أسفرت عنه من نتائج مختلفة طالت كلتا الدولتين المتنازعتين.

كما يتطرق إلى تطور الأحداث في الإمبراطورية البيزنطية التي شهدت مع بداية العقد الثأني ثورة هيراكلوس (هرقل) واستلامه لزمام الحكم في بيزنطة التي كانت تعأني الضعف والتراجع، فقام بالعديد من الإصلاحات للحفاظ على إمبراطوريته، وبين البحث علاقته مع ملك الدولة الفارسية كسرى أبرويز ومنها توسع الجيش الفارسي في سوريا

---

*مدرس تاريخ قديم –تاريخ بلاد فارس- جامعة دمشق.

ووصوله إلى بيت المقدس واستيلاؤه على صليب الصلبوت، وكذلك التوسع في آسيا الصغرى وطرق أبواب القسطنطينية، الأمر الذي جعل هرقل يعُدُّ العدّة ويضع الخطط الناجحة التي أثمرت برد الجيش الفارسي، وطرق أسوار العاصمة الفارسية طيسفون، وتحرير معظم المناطق التي سيطر عليها، وما نتج عن ذلك من معاهدات وحروب كانت واحداً من الأسباب التي أدت إلى إنهيار الدولة الفارسية.

The Byzantine- Persian conflict in the First Quarter of The seven Century AD 602- 628.

Dr. Arwad ALAllan*

Summary

The study deals with the Byzantine-Persian conflict in the first quarter of the seventh century. It shows the reasons that led to the war between the two sides. This was manifested by the desire of the Persian king to expand at the expense of Byzantium.

Thus strengthening its internal state and improving its conditions in various fields, Especially the army, which became in the beginning of the seventh century AD ready to achieve the ambition of the Persian king to expand, and achieve his dreams of control of the East. He exploited the rebellion led by Phocas to start a war that lasted more than two decades,

The study reviewed the wars witnessed by the region in the first decade of the seventh century, especially the invasion of the Persian army of the island of Euphrates and the siege of Amad and the attempt of the Byzantines to respond to the Persian attack in various ways.

The Persian army in Asia Minor also expanded and failed attempts to confront it, resulting in different results of both conflicting states, and the development of events in the Byzantine Empire, which witnessed the beginning of the second decade Heraclus revolution (Heraclius) and his accession to power in Byzantium which was Suffer weakness and decline, And made many reforms to preserve his empire, and the search for his relationship with the Persian king of the state of Kasri Abruiz, including the expansion of the Persian army in Syria and access to Jerusalem and its capture on the crucifixion of the crucifixion, As well as the expansion of Asia Minor and the ways of the doors of Constantinople, which made Hercules prepare and put the successful plans that resulted in the Persian army, and the walls of the walls of the Persian capital Tesfon, and the liberation of most of the areas controlled by, and Mantj of that treaties and wars was one of the reasons that led to The collapse of the Persian state.

* Ancent history – History of Persia.

المقدمة:

مثَّلت الإمبراطوريةُ الرومأنية القديمة ووريثتها الدولة البيزنطية، ودولة الفرس – القوتين العظميين في أواخر العصور القديمة، وعلى مدى حقب طويلة كان الصراع محتدمًا، والحدود مشتعلة، والجنود مستنفرون، والعداء مستحكمٌ بين الدولتين.

وقد شهد هذا الصراع جولات عديدة، تبادل فيها الطرف ان الهزائمَ والانتصارات، وتغيرت الحدود فيها أكثرَ من مرة ولم تكن مستقرة، وكان يحددها ميز ان القوة والاستقرار في كلتا الدولتين، وكثيرًا ما كانت تتعرض للمد والجزر، فبالقوة والاستقرار السياسي في أحدهما، وحدوث التراجع والهزات السياسية في الأخرى، يتغير خط الحدود، ويتغير شكل العلاقة، ويتجدد التنافُس والصراع بين الدولتين العظمتين.

وهذا البحث يتناول الأسباب التاريخية التي أدّت إلى نُشوبِ هذا الصراع واحتدامه بين الدولتين، وهي أسباب تعددت بين تلك التي تعود إلى منطق القوة والقوة المضادة، وأخرى تعود إلى النزوع للنفوذ والسيطرة الحدودية، ناهيك عن تلك الأسباب الاقتصادية التي تركزت حول طُرق التِّجارة الدولية، أو تلك التي تعود إلى الاختلاف الدِّيني والثقافي بين الدولتين والقوتين.

كما يبحث ج انبًا من الصراع البيزنطي – الفارسي، ويركز في قراءة فاحصة على الفصل الأخير منه، والذي بدأ باجتياح الفرس للأراضي البيزنطية، واحتلالهم لأجزاء كبيرة منها، ووصولهم إلى تخوم العاصمة البيزنطية القسطنطينية في عهد إمبراطورها الشهير هرقل، حيث سعى ملك الفرس كسرى أبرويز لإعادة أمجاد الإمبراطورية الأخمينية، بالسيطرة على أكبر قدر ممكن من البلاد، ساعده على ذلك الأوضاع الصعبة التي تعاني منها الإمبراطورية البيزنطية، بعد الانقلاب الذي قام به فوكاس على موريس واستلامه الحكم فيها، حيث قدم سببا لكسرى أبرويز للاعتداء على أراضي الإمبراطورية بحجة الانتقام لصديقه موريس، وهكذا اشتعلت الحروب بين الطرفين كما يستعرض البحث جهود إمبراطور الروم هرقل في تجاوز الهزائم المتتالية التي مُنِيَ بها جيشه وقلبِها

إلى انتصار حاسم، تمثَّل في استعادة الأراضي البيزنطية، و إنهاء التفوق والسيطرة الفارسية؛ تمهيدًا لإخراجها من ساحة الصراع الدولي لتلك الحقبة نهائياً.

لذلك جاء هذا البحث ليلقي الضوء على أحداث هذه الحروب في الربع الأول من القرن السابع الميلادي، شارحاً أسبابها ومفصلاً في أحداثها، ومبيناً نتائجها، التي أدت بشكل مباشر إلى ضعف كلتا الدولتين، مما سهل الأمر أمام القوة الصاعدة في شبه الجزيرة العربية، قوة العرب المسلمين التي قضت على كلتا الدولتين. وقد تم تقسيم البحث زمنياً لتسهيل عملية دراسته دراسة عميقة.

تمهيد:

يعد النزاع البيزنطي الفارسي امتداداً للنزاع الروماني الفارسي، الذي بدأت تشهده المنطقة منذ القرن الأول للميلاد، وقد مر النزاع بمراحل عديدة تأرجح فيها النصر بين الطرفين، فعندما تكون إحدى الدولتين قوية تتوسع على حساب الأخرى.

وتجدد النزاع خلال عهد الدولة الساسأنية وبخاصة في القرن السادس الميلادي الذي شهد نهضة قوية في عهد كسرى أنوشيروأن، الذي نظم دولته وجددها وقوّى جيشها، الأمر الذي مكّنه من اجتياح سوريا وأرمينية والتوسع في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولكن عاد الوضع لما كان عليه بعد وفاة كسرى أنوشيروأن بسبب الضعف الذي حل بالدولة الفارسية، والاضطرابات التي شهدتها إثر النزاع على العرش، وتنازل كسرى الثأني أبرويز عن معظم المناطق مقابل أن يساعده موريس (582–602م) الإمبراطور البيزنطي للعودة إلى عرشه [1]، وبناء عليه ساد السلم السنوات العشر الأخيرة من القرن السادس الميلاد ليعود النزاع ويتجدد في مطلع القرن السابع الميلادي.

من جهتها بيزنطة فما أن وصل جوستين الثأني (Justin 11) (565–578م) للحكم حتى نقض معاهدة الصلح مع الفرس، ورفض دفع الضريبة السنوية التي تدفعها بيزنطة لفارس مقابل السلام. فعادت الحرب بين الطرفين وكانت الغلبة بين مد وجزر فتارة يخرب الفرس الأراضي البيزنطية، وتارة أخرى يعيث الجيش البيزنطي خراباً ودماراً في الأراضي الفارسية، واستمر الوضع كذلك حتى عام 579م حيث عُقِدَ الصلح بين الطرفين وعاد كل منهما لحدوده السابقة، غير أن وفاة كسرى أنوشروأن حالت دون توقيعه فعاد هرمزد الرابع[2] (Harmizd IV) **(579-590م)** للحرب التي استمرت حتى وفاته، وبعد هذه الأحداث دبّ النزاع في فارس على العرش وساءت الأوضاع الداخلية،

---

(1) – إسماعيل، ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985م، ص43.

(2) – هرمزد الرابع: هو ابن الملك كسرى أنوشروأن من زوجته ابنة خاقأن دولة الترك، يوصف بالعدالة، والعطف على الضعفاء والمظلومين، وأظهر تسامحاً مع المسيحيين.الفردوسي، أبو القاسم محمد، الشاهنامة، ترجمة الفتح علي البنداري، تصحيح وتعليق، عبد الوهاب عزام، طهرأن، 1970، ج2، ص170 –171

وقام انقلاب ضد الملك الجديد كسرى أبرويز الذي التجأ إلى بيزنطة لطلب المساعدة في العودة على عرشه، وكان ذلك نذيراً لعقد معاهدة سلام بين الطرفين استمرت حتى مقتل موريس، فاتخذ الفرس ذلك ذريعة لتجدد النزاع(3).

أسباب الصراع البيزنطي الفارسي:

لا بد أن هناك عوامل كثيرة أسهمت في هذا الصراع، وأججته وساعدت على بقائه وبروزه في أوقات، وتراجعه في أوقات أخرى، ولعل منها:

الرغبة في التوسع:

تمتعت الإمبراطورية الرومانية باتساع جغرافي كبير، امتد إلى حدود نهر الفرات شرقًا، وشمال إفريقيا ومصر وتخوم جزيرة العرب الشمالية، مرورًا ببلاد الشام ؛ فإمبراطورية بهذا الاتِّساع الهائل، من الطبيعي اعتبارها قوة عظمى لها مجال تحركها الواسع وسيطرتها، وطموحاتها وأطماعها، وأنصارها وأعداؤها.

على الجانب الآخر، كان الفُرس بدولتهم وحضارتهم، واتساعهم في أطراف عدة من قارة آسيا؛ حيث امتدت دولتهم منَ الفرات حتى الهند، ومن بحر قزوين حتى المحيط الهندي، ويُمثِّلون الطرف الثاني من القوتين العظميين.

وقد تمتَّعَت فارس طوال حكمها بنوعٍ منَ الاستقرار الحكومي، والثراء المالي، والجيش القوي، وهي مقوماتٌ أساسيَّة لقيام دولة قويَّة، لها أطماعها ومصالحها، ومجال تحرُّكها الحيوي، واتساعها الجغرافي، الذي يستدعي الحمايةَ الدائمة وتوفير وسائلها بشكل مستمر.

وكانت سوريا بما تمتلكه من مكانة استراتيجية عظيمة جزءاً لا يتجزأ من حلقة الصراع، فقد حاولت فارس السيطرة عليها بأي شكل من الأشكال ومهما كلف ذلك من أموال وجيوش، وفي الوقت الذي كانت فيه سوريا تحت سيطرة بيزنطة كانت فارس

(3) – الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص210.

تسعى لكسب العرب المقيمين على الحدود، وقد حذت بيزنطة حذوها في ذلك فكان العرب المناذرة حلفاء فارس والعرب الغساسنة حلفاء بيزنطة.

لذلك فمن الطبيعي أن يكون صدام القوتين العظميين حادّاً وعنيفًا وواسع المدى؛ لأن هناك حدودًا مشتركة، ومصالح متشابكة؛ بل ومتضاربة أحياناً، ومشروعات توسعية لدى كل طرف على حساب الآخر[4].

النزاع على المناطق الاستراتيجية:

كانت منطقة الفرات هي المنطقة الحدودية المشتركة بين الدولتين؛ ولذلك شهدت احتكاكاً دائماً منذ حقبة مبكرة، وكانت كل دولة تستغلّ ظروف الدولة الأخرى لإحداث تغييرات والتوسع في هذه المنطقة المهمة لكلا الطرفين.

وكانت معظم هذه المناطق الحدودية غير مستقرة، فمرة تكون تحت سيطرة الفرس، ومرة أخرى تعود إلى سيطرة البيزنطيين؛ بل أن الصراع حول هذه المناطق كان أحد الأسباب المباشرة التي دعت الأباطرة البيزنطيين للاهتمام بها وحمايتها من الأخطار الفارسية، والتصدي لتحركاتهم ولهجماتهم المتكررة على الطرف الشرقي للإمبراطورية[5].

كما أن التحركات الدبلوماسية من الطرفين في هذه المناطق، كانت واسعةً؛ إذ سعى كل طرف إلى كسب ولاء شعوب هذه المناطق، كما حدث في أرمينية عندما بدأت الديانة النصرانية تزحف إليها، مما أثار غضب الفرس وتدخلهم؛ حيث أن أرمينية كانت من مناطق نفوذهم، ومعنى اعتناقها لديانة جديدة خروجها عن سلطة الفرس.

بل كثيرًا ما أثار الصراع حول مدنٍ أو مناطق صغيرةٍ حربًا عنيفة بين الدولتين، كذلك فأنه في هذا الإطار امتدَ صراع السيطرة بين الفرس والبيزنطيين للسيادة على

---

(4)- دونالد دولي، "حضارة روما"، ترجمة: جميل يواقيم الذهبي، وفاروق فريد، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1979م، ص4.

(5) - العريني، السيد الباز الدولة البيزنطية 323-1081م، بيروت، دار النهضة العربية، 1982م، ص23.

العرب القاطنين في المناطق الحدودية بين الدولتين، فكان الفرس يدعمون المناذرة، بينما كان البيزنطيون يدعمون الغساسنة؛ ليقفوا إلى جانبهم في نزاعاتهم[(6)].

وهنا تبرز مكانة سوريا الاستراتيجية، فما هي أهمية سوريا بالنسبة للفرس الساسأنيين؟. وما الأسباب التي أدت لقيام الحرب بعد سلم استمر لأكثر من عشر سنوات؟. وكيف تم الاحتلال والتحرير؟

تُعَدُّ سوريا واحدةً من أقاليمِ آسيةَ الغربيةِ في منطقةٍ أَطْلَقَ عليها سكان وادي الرافدين اسمَ مارتو السومري، أو أمورو وكلاهما ترادف كلمةَ الغربِ ،على الرغم من استخدام التسميات المحلية كإيبلا وماري و أوغاريت وغيرها. ومع قدومِ السلوقيين غلبَ استخدامُ اسم سوريا على المنطقة الممتدة إلى الغرب من الفرات. ومن الناحية الجغرافية تتوسط سوريا قارات العالم القديم، كما تتوسط أعرق حضارتين بلاد الرافدين ووادي النيل. أما تسمية بلاد الشام ((الشام جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام)) [(7)].((أما حدُّها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم))[(8)].

من هنا نستطيع أن نحدد إطاراً جغرافياً لسوريا بناءً على ما قدمه الجغرافيون العرب. فيحدها شمالاً جبال طوروس، وغرباً البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب تتصل بعريش مصر وشبه الجزيرة العربية، في حين شكل مجرى نهر الفرات حدودها الشرقية. وهكذا شغلت فلسطين القسم الجنوبي الغربي، حيث غدت جزءاً لا يتجزأ من سوريا.

وشكل موقع سورية الاستراتيجي أهمية كبيرة للفرس الساسانيين، الذين كانوا يعملون للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على طرق التجارة الجنوبية والشمالية،

---

(6) - الشاعر،محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م، ص168.

(7) - الحموي (ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار صادر، بيروت، 1984م، ج3، مادة شام، ص354.

(8)- المصدر نفسه، ج3، مادة شام، ص354.

ومن ثمَّ السيطرة على التجارة العالمية مع الشرق، والتخلص من القيود البيزنطية على تجارتهم.

ومن هنا كان موقع سوريا الاستراتيجي المهم أهم العوامل التي دفعت الفرس الساسانيين للسيطرة عليها، فهي تشكل واجهة بحرية تمكن من الاتصال بأوروبة، وتختصر المسافات إليها، كذلك عُدَّتْ واحدة من الولايات الأخمينية القديمة التي يجب على الدول الفارسية المتعاقبة إعادتها للسيطرة الفارسية. هذا بالإضافة إلى وجود العرب الغساسنة التابعين للروم البيزنطيين والذين ما انفكوا يستغلون الظروف للهجوم على الحدود الفارسية فكان لابد من وضع حدٍّ لتدخلاتهم.

النزاع على طرق التجارة:

كانت طرق التجارة الدولية أحد أهم أسباب الصراع بين القوتين؛ وذلك لأن التحكم في التجارة وفي طرقها أحد أهم مظاهر القوة والثراء للدولتين.

وكانت الكتلة الأساسية للتجارة العالمية في العصور الوسطى تسير من الشرق الأقصى إلى البحر المتوسط مروراً ببلاد الرافدين وسوريا، وقد ازدهرت التجارة الشرقية ازدهارًا عظيمًا. وكانت تجارة الشرق تخترق طرقًا مختلفة؛ منها: ذلك الطريق عبر تركستان إلى بحر قزوين، في الشمال إلى نهر الفولجا، فالبحر الأسود عند خرسون، أو عن طريق الجنوب عبر شمال إيران إلى نصيبين على الحدود الرومانية، أو عن طريق أرمينية إلى طرابزون، وقد تجتاز الهند وأفغانستان ووسط فارس إلى نصيبين أو إلى مصر، وربما انتقلت بحرًا عن طريق الخليج العربي ثم إلى سوريا، أو عن طريق البحر الأحمر إلى مصر، ولم يكن هناك إلا طريقين يتجنَّبان المرور بأرض فارس؛ أولهما: الشمالي الأقصى الذي يعتمد على قيام بادرة من الاستقرار بين أمم منطقة السهوب، أو الجنوبي الأقصى: وهو الطريق البحري(9).

(9) - رأنسيمأن، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961م، ص194.

وكانت فارس منطقة تهديد لتجارة الإمبراطورية البيزنطية، فأحياناً كانت تفرض عليها رسومًا جمركية عالية، وأحياناً كانت تقطعها قطعا تاماً في أوقات الحروب، وكانت الدبلوماسية البيزنطية تبذل قصارى جهدها لضمان استمرار الطريقين البعيدين عن فارس، وذلك إما بالتفاوض مع الممالك الهندية والتركية الضاربة في السهوب، أو مع مملكة أكسوم التي كانت تتحكم في تجارة البحر الأحمر[10].

فالتنافُس الشديد على التجارة الدولية وعلى طُرقها، كان من الأسباب المهمة للصراع بين الدولتين البيزنطية والفارسية، فمحاولة الاستحواذ على هذه التجارة، وتسهيل طرق تدفقها، ودوام رواجها، وعقد الصفقات والاتفاقيات لاستمرارها كان مجالاً رحباً للصراع بين الدولتين، وميداناً واسعا لاحتكاكهما.

<u>الاختلاف الديني:</u>

كان البيزنطيون يعتنقون النصرانية وفي الجانب الآخر كان الفرس يعبدون النار، ولهم معابدُهم وأفكارهم وطقوسهم الخاصة، التي ضمنتها لهم ديانتهم الزرادشتية. وكان العرب المقيمون على تخوم فارس وبيزنطة يدينون بالوثنية.

وكما نلحظ، فإن الطرفين المتصارعين كانا يدينان بديانتين مختلفتين ومتعارضتين، ولكل منهما ثقافته، كما كانت المناطق الحدودية بين الدولتين وبخاصة في سوريا مجالاً رحبًا لاختبار هذا الصراع في مراحله المختلفة، فكثيرًا ما شنَّ الفرس حرباً على هذه المناطق، التي كان سكانها أسبقَ إلى النصرانية، وضيقوا عليهم الخناق، ومنعوهم من تعمير الكنائس، ولكن هذا الموقف كان يتأثَّر بالوضع على جبهة القتال؛ فعندما يكون الفرس بحاجة إلى السلام والمهادنة مع البيزنطيين يعمدون إلى تخفيف حدّة الصراع، ويسمحون للنصارى بحرية العمل والتبشير، وإقامة شعائرهم، وإعادة بناء كنائسهم الخربة؛

(10) – رأنسيمأن، المرجع نفسه، ص194.

وذلك لتهدئة الجبهة مع البيزنطيين؛ حتى يتفرغوا للشؤون الداخلية التي كانت تعاني من بعض الاضطرابات[11].

وكان من طبيعة الأمور أن يقوم صراعٌ تغذيه المعتقدات الدينية، وبخاصة أن كلتا الدولتين كانت لا تتورع عن حرق وتخريب الكنائس والمعابد وبيوت النار في أعقاب الانتصار في المعارك.

ضعف إحدى الدولتين:

إن الدولتين على الرغم من كونهما القوتين العظميين للعصور القديمة والوسطى ، إلا أن كلتا الدولتين كانتا تتعرضان أحياناً لعوامل التراجع؛ حيث تحيط بالواحدة منهما عوامل الضعف، والصراعات والمشكلات الداخلية، بينما الدولة الأخرى تتربص انتظاراً للفرصة المواتية للهجوم، وتحقيق الانتصارات العسكرية على جبهة القتال، كما استغلَّت حقب السلام لكشف نقاط ضعف الدولة الأخرى، والاستعداد للجولة القادمة من الصراع الذي كان يحمل عوامل التجدد والاستمرار[12]. وكانت بلاد العرب وبخاصة تخوم الفرات من سوريا أكثر المناطق تأثراً بذلك، فعندما تضعف فارس تنطلق بيزنطة للتوسع على حساب فارس من خلالها، وبالمثل كانت فارس عندما تضعف بيزنطة تنطلق لاحتلال سوريا من خلال الفرات ومنطقة الجزيرة.

وانطلاقًا من هذه العوامل والمعطيات وغيرها، فقد كان من الطبيعي أن يقوم هذا الصراع بين الدولتين والحضارتين المختلفتين، وأن يمتد على فترات طويلة، لتكون نهايته بعد واحدة من أخطر جولاته، في عهد الإمبراطور البيزنطي هرقل، والملك الفارسي كسرى الثاني أبرويز.

---

(11) - كريستنسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1957م.، ص284.

(12) – محمد، عمر يحيى، بيزنطة وفارس، مجلة الدرعية: السنة الثامنة، العدد الثاني والثلاثون، ذو الحجة 1426هـ - يناير 2006م، ص154 ومابعد.

– الحروب البيزنطية ـ الفارسية (602– 610م).

حدث في تشرين الثاني سنة 602م تمردٌ في الإمبراطورية البيزنطية ضد الإمبراطور موريس (582– 602م) قاده القائد البيزنطي فوكاس (602– 610م) (Phocas) [13] الذي زحف نحو العاصمة القسطنطينية وقتل الإمبراطور موريس وأسرته التي لم ينج منها غير ابنه ثيودوسيوس (Theodosius) الذي هرب إلى الملك الفارسي كسرى أبرويز طالباً مساعدته لإعادته إلى ملك أبيه[14] .

وبهدف استرداد أملاكه التي قدمها الملك كسرى أبرويز لإمبراطور الروم من أجل دعمه في العودة إلى عرشه استغل الأحداث، وأعلن الحرب على الإمبراطور الجديد فوكاس بحجة الِانتقام لمقتل صديقه وحليفه الإمبراطور موريس، وتنصيب ابنه على العرش، وذلك بعد ترقب لتطورات الأحداث في الإمبراطورية البيزنطية وانتظار الفرصة التي تمكنه من إعلان نقضه لمعاهدة الصداقة المعقودة بينهما، ولذلك ما إن قامت الثورة التي رفع رايتها قائد الجيوش البيزنطية في منطقة الشرق القائد نارسيس Narses[15] سنة 603م ضد الإمبراطور الجديد فوكاس[16] حتى سارع إلى إرسال قائده شاهين Shahin

---

(13) – فوكاس: ولد في تراقيا عام 547م، كان إمبراطوراً بيزنطياً حكم منذ 602 حتى 610. كان فوكاس أحد أكثر الأباطرة استنكاراً حيث استولى على العرش في عهد الإمبراطور موريس وأمر بقتله مع أبنائه، الأمر الذي أدى لسوء العلاقة مع بلاد فارس، وفي سنة 610م أُسقط بالقوة من قبل هرقل بعد فشله في مواجهة الفرس.
Ostrogorsky, George. History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, Oxford (1968),,p.83. عبد العزيز، وسام، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية 284-1025م، القاهرة، 1982م ج1، ص109 – 110.

(14) - مؤلف مجهول، من القرن السابع الميلادي، التاريخ الصغير، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد، بغداد، مطبعة الشعب، 1976م، ص67 . الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، مصر، مطبعة عبد الحميد أحمد، د. ت، ص101 . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج 1، ص 466 . Ostrogorsky,.History of the Byzantine State, p.83.Lindsay , JacK, Byzantium in to Europe ,London, 1952.,p.74

(15) - نارسيس : قائد أرمني الأصل قاد الجيش البيزنطي الذي ساعد الملك كسرى أبرويز في استعادة عرشه. رستم، أسد، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت، دار المكشوف، 1955م، ج1، ص202.

(16) - مار ميخائيل السرياني، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم مار غريغور لويس يوحنا إبراهيم، حلب، دار ماردين للطباعة، 1996م، ج2، ص265 . أومان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة، مصطفى طه بدر، القاهرة، مطبعة دار الفكر العربي، 1953م، ص99 . هسي، ح، م، العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق، رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م، ص102 . Ostrogorsky, op ,cit,p.83

وبرفقته خمسة عشر ألفاً من الجند لمساعدته بحجة الثأر لمقتل صديقه الإمبراطور موريس إلا أن مقصده الحقيقي استرجاع ما كان قد تنازل عنه من أراضي للدولة البيزنطية[17]. وفي سنة 603م قام نارسيس بالتعاون مع القوات الفارسية (الساسانية) بمهاجمة الأراضي البيزنطية وكان أول أهدافهما مدينة سنجار [18] التي جعل منها البيزنطيون بعد استيلائهم عليها سنة 578م زمن الإمبراطور تيباريوس الثاني Tiberius II (578 – 582م) بمثابة البرج يراقبون منه تحركات الجيش الفارسي [19]، وعلى الرغم من قوتها شجع انخفاض أسوار المدينة وقلة الحامية البيزنطية الموجودة فيها الفرس على مهاجمتها، فهاجمها الفرس وتمكنوا من الاستيلاء عليها بشكل سريع ومفاجئ [20]، في السنة نفسها [21].

بعد ذلك قرر المنتصرون التوجه نحو مدينة دارا، الثغر الأمامي للبيزنطيين في أرض الجزيرة، غير أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إلا بعد تسعة أشهر من محاصرتها، وذلك لقوة استحكاماتها وتفاني البيزنطيين في الدفاع عنها[22]. وكان ذلك سنة 604م[23]، وقد أرجعه بعض المؤرخين إلى سنة 605م[24] .

---

[17] - الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت، دار المكشوف، 1955م، ج1، ص210.

[18] - سنكارا (سنجار) : من مدن الجزيرة الفراتية، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ابن حوقل، ا أو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ليدن : مطبعة بريل، 1938م، ج1، ص210.

[19] - زرين كوب، عبد الحسين، روزكارأن تاريخ إيران ازا غاز تا سقوط سلطنة بهلوي، تهرأن، چاپخأنة مهارت، 1378هـ، ص247 . سايكس، سير برسي، تاريخ إيران، ترجمه إلى الفارسية سيد محمد تقي فخر داعي كيلأني، چاپ سوم، تهرأن، چاپ افست علي أكبر علمي، 1332هـ، ج1، ص665.

[20] - رستم، المرجع السابق، ج1، ص210. زرين كوب، المرجع السابق، ص247 . سايكس، المرجع السابق، ج1، ص665.

[21] - داهيم، بهرام، خسرو برويز وجنگهاي بيست وهفت ساله إيران وروم، مقدمة زبيدة جهأنكيري، چاپ سوم، طهران، چاپ قيام، 1376هـ، ص145.

[22] - مار ميخائيل، المصدر السابق، ج2، ص268 . رستم، المرجع السابق، ج1، ص210 . زرين كوب، المرجع السابق، ص247 . سايكس، المرجع السابق، ج1، ص665.

Jones ,A.H.M. The Later Roman Empire 284-602 "A social Economic and Administrative Survey'', Oxford,1946,Vo1.1,p.316.

[23] - داهيم، المرجع السابق، ص147.

[24] - داهيم: المرجع نفسه، ص159.

فتح سقوط دارا الباب أمام الفرس للتوغل في الأراضي البيزنطية، لذلك حاول الإمبراطور فوكاس استردادها، وبذل جلّ جهده في محاولة لاستردادها بعد ثمانية أشهر من استيلاء الفرس عليها إلا أنه فشل(25) .

ومن جهة أخرى حاول الإمبراطور فوكاس إشغال الفرس وإيقاف تقدمهم في الاستيلاء على مدن الجزيرة الفراتية بمهاجمتهم من جهة أرمينيا فأرسل إليها جيش قوامه ثمانية فرق، بلغ تعداد كل فرقة من 4200 – 6000 آلاف من المشاة و 300 فارس(26)، ولما علم القائد البيزنطي المنشق نارسيس الذي كان في مدينة دارا بعد إفشاله لمحاولة الإمبراطور لاستردادها بتلك الحركة من جانب البيزنطيين سارع إلى إرسال رسله إلى العاصمة طيسفون لإبلاغ الملك كسرى أبرويز، الذي بادر في الحال إلى إرسال قائده شهربرز Shahrbarz (27) على رأس جيش مكون من 8 آلاف فارس و 16 ألفاً من المشاة، وصلت إلى مدينة جنزك (28) بانتظار قدوم الجيش البيزنطي، وبعد أن علم من عيونه أن الفرق البيزنطية دخلت الأراضي الأرمينية ترك مدينة جنزك وعسكر على حافة

(25) - سايكس، المرجع السابق، ج1، ص666 . يارشاطر، إحسان وآخرون .
تاريخ يرأن از سلوكيأن تا فرو باشى دولت ساسانيأن، ترجمة حسن أنوشه، چاپ سوم، طهران، مؤسسة أنتشارات أمير كبير، مطبعة سبهر، 1380هـ، مج3، ق1، ص264.

(26) - مؤلف مجهول، المرجع السابق، ص69.

(27) - داهيم، المرجع السابق، 174. سايكس، المرجع السابق، ج1، ص666 . يارشاطر وآخرون، المرجع السابق، مج3، ق1، ص264.
شهربراز : لقب محرف عن الاسم الفهلوي شهر ورز ومعناه الخنزير البري، والخنزير البري كان رمزاً للقوة لذلك كانت صورته على الأختام الفارسية والأرمنية، بتلر، الفرد، ج، فتح العرب مصر، ط 2، ترجمة محمد فريد أبو حديد بك، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م، ص99، أما الاسم الحقيقي لذلك القائد فالطبري يسميه فرهان، المصدر السابق، ج 1، ص466، والمؤرخ السرياني مار ميخائيل يسميه رومنيأن، المصدر السابق، ج2، ص268، والأرمن يسمونه ارزمن أو رزمن أو رميكزأن، أما البيزنطيون فيسمونه رسميزاس أو روميزأنس أو رزميوزأن، بتلر، المرجع السابق، ص100 هامش رقم (1). والاسم رزميوزأن قريب من اسم روميوزان الذي هو القائد الثالث من قواد كسرى أبرويز عند الطبري، ولذلك نعتقد أن اسم رزميوزأن هو نفسه روميوزأن وهو نفسه شهربرز أو شهريار كما يسميه المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت، دار القلم، 1989م،، ج1، ص258 و جراز كما يسميه الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص247.

(28) - جنزك : هي مدينة شيز أو ستوريق كما سماها المغول، من نواحي أذربيجان شمال غرب إيران، خرائبها تعرف بتخت سليمان. لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد : مطبعة الرابطة، 1954م، ص259 ؛ كرستنسن، المرجع السابق، ص156 .

نهر أرس [29]، وقد انطوت خطته على إخفاء خمسة آلاف من جنوده بين منحنيات النهر، فإذا عبرته الجيوش البيزنطية أطبق عليها بقواته من الأمام والخلف [30]. أما القائد البيزنطي البينوس الذي لم يكن يتوقع أن يعرف الفرس خبر وصوله ويستعدوا لمواجهته بهذه السرعة، فبعد أن أخبرته عيونه أن تعداد الجيش الفارسي لا يتجاوز العشرين ألفاً، وثق من انتصاره مغتراً بكثرة عدد الجيش الذي يقوده، ولذلك قرر أن يبدأ الهجوم عليهم بجميع قواته، وما إن بدأت المعركة التي عرفت بمعركة نهر ارس، حتى نفذ القائد الفارسي شهربرز خطته بنجاح، وكانت النتيجة انكسار الجيش البيزنطي ومقتل قائده البينوس، وآل أمرهم إلى القائدَين الكسيوس ورومانوس اللذين ما إن علما بوصول القائد الفارسي شاهين مع ستة عشر ألفاً من جنوده لدعم ومساندة القائد شهربرز حتى فضّلا الانسحاب والفرار من المعركة على الدخول فيها، وبعد أسبوع من انتهاء المعركة أرسل القائد الفارسي شاهين رفيقه القائد شهربرز إلى العاصمة طيسفون محملاً بالغنائم وبكتاب إلى الملك كسرى أبرويز يسأله فيه أن يعطيه أمراً ليواصل تقدمه في أرمينيا، إلا أن الملك أمره بترك حامية في أرمينيا وعاد بجيشه إلى طيسفون.

وبما أن محاصرة الفرس لمدينة دارا كان سنة 605م وأن الإمبراطور فوكاس حاول استردادها بعد ثمانية أشهر من الاستيلاء عليها نستنتج أن حدوث تلك المعركة كان في منتصف سنة 606م.

أما عن القائد البيزنطي نارسيس الذي كان في مدينة دارا، فبعد سماعه بهزيمة الجيش البيزنطي في معركة نهر ارس تشجع على مواصلة تقدمه في الاستيلاء على مدن الجزيرة الفراتية، فترك في مدينة دارا حامية تقدر بـ (15) ألف جندي، وسار ببقية

[29] - نهر ارّس (الرس): ينبع من جبال بنكول داغ وهي من جبال قاليقلا في غربي أرمينيا ثم يتجه في جريانه شرقاً فيمر بمدينة دوين (الدبيل) وبعد أن يجري بمحاذاة حدود أذربيجان الشمالية يلتقي بنهر الكر فيصبح ان نهراً واحداً يصب في بحر قزوين (أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلد ان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840م، ص59 – 60؛ لسترنج، المرجع السابق، ص213؛ طه، المرجع السابق، ص29 – 30).

[30] - داهيم، المرجع السابق، ص201 – 206.

الجيش باتجاه مدينة اميدا[31]، ولم تكن استحكاماتها بأقل قوة من استحكامات مدينة دارا ،ومما زاد من قوة حصانتها وقوعها في منطقة جبلية وعرة، وهذا يعني أن الاستيلاء عليها لم يكن من الأمور السهلة.

وعند اقتراب الجيش الفارسي من المدينة شاهد القائد نارسيس –وخلافاً لما كان يتوقعه– عدداً قليلاً من المدافعين عنها على جدرانها ،لذلك قرر أن يهاجمها بسرعة ويفوت على المدافعين فرصة وضع خطة للدفاع عنها، وبالفعل وصل المهاجمون بسرعة إلى الأسوار ونصبوا السلالم، وبدأوا بالصعود إلا أنهم ما كادوا يصلون إلى الوسط حتى انهالت على رؤوسهم سهام المدافعين والحجارة والماء المغلي [32]،بعد هذه الهزيمة وضع نارسيس خطة جديدة للهجوم تقوم على هدم الأسوار بالمنجنيق والآلات المعدة لاقتحام الأسوار، إلا أن خطته تلك لم يكتب لها النجاح أيضاً، فإلى جانب وعورة الطرق التي جعلت حركة تلك الآلات صعبة وبطيئة فإن الأحجار والكرات النارية التي أطلقها المدافعون كسرتها وأحرقتها، فزاد فقدان تلك الآلات من اضطراب الجيش الفارسي وارتباك صفوفه [33]،وبدا واضحاً أن الاستيلاء على المدينة من الأمور العسيرة، إلا أن عزيمة نارسيس وإصراره على إخضاعها كانت أقوى من أن ترد، ولذلك واصل محاصرتها واستعمل مختلف الحيل في تحطيم سورها حتى تمكن من ذلك بعد ثلاثة أشهر [34]، وكان ذلك سنة 607م، وهكذا سقطت مدينة أخرى من المدن البيزنطية بيد الفرس.

---

[31] - اميدا (Amida) (امد)اميدا (امد) : قصبة ديار بكر، تقع على غربي دجلة، وصفت بأنها كثيرة الشجر والزروع المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد البشاري ت 375هـ/985م، أحسن التقاسيم، القاهرة : مكتبة مدبولي، 1991م، ص136، 140.

[32] - داهيم، المرجع السابق، ص208.

[33] - داهيم، المرجع نفسه، ص214 -215.

[34] - داهيم، المرجع نفسه، ص219 - 221.

وكان سكان المدينة من العرب هم من دفع ثمن هذه الحرب فخربت بيوتهم وأراضيهم واحترقت محاصيلهم، وعلى الرغم من ذلك بقيت المدينة مركز إشعاع حضاري في المنطقة، لم تستطع آلة الحرب البيزنطية أو الفارسية أن تخمدها.

وبعد وصول الإمدادات العسكرية إلى القائد البيزنطي المنشق نارسيس من العاصمة طيسفون توجه وجيشه في بداية شهر كانون الأول سنة 607م نحو مدينة أديسا [35] التي ما إن علم حاكمها وهو من أقرباء الإمبراطور فوكاس أن الجيش الفارسي وضع مدينته نصب عينيه وأنه ينوي الهجوم عليها حتى أمر عساكره بجمع المؤن من أطراف المدينة وأخذ مواقعهم الدفاعية في أعلى الأبراج، ولما أصبح القائد نارسيس على مقربة من المدينة أرسل رسله إلى حاكمها يطلب منه حقن الدماء وتسليم مدينته، إلا أن ذلك الرسول عاد إليه ليخبره أن المدينة لن تستسلم [36]، عندئذ أصدر القائد نارسيس أوامره بالهجوم السريع على المدينة، وعلى الرغم من السهام والأحجار والماء والزيت المغلي التي كان يرمي بها المدافعين من أعلى الأبراج على المهاجمين إلا أن الأخيرين تمكنوا من نصب السلالم العالية والأبراج المتحركة على الجدران وأوصلوا أنفسهم إلى أعلى السور، وفي الوقت الذي كانت تجري في أعلى جدران المدينة معركة حامية الوطيس، تمكنت إحدى الفرق الفارسية من أن تقتحم بمضرب كبير مخصص لهدم الجدران والبوابات الأسوار والخندق الموجود حول المدينة، وبعد ساعات من القتال تمكن الجيش الفارسي من الدخول والاستيلاء على المدينة[37].

وقد شجعت الانتصارات المتلاحقة الملك الفارسي كسرى أبرويز على مواصلة تقدمه في الاستيلاء على الأراضي البيزنطية، فأرسل في أواخر تشرين الأول سنة 609م قائده

---

[35] - داهيم، المرجع نفسه، ص223- 224.
ادسا: (الرها) من مدن الجزيرة الفراتية، تقع شمال حران، والمسافة بينهما يوم ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص226،210. بناها سلوقس الأول قرب نهر البليخ بمحاذاة الفرات على نهر صغير يسمى ديص ان، والسريان يسمونها اورهاي وعنهم أخذ العرب تسمية الرها، تقع في الوقت الحاضر في تركيا وتسمى أورفه. حبي، يوسف، كنيسة المشرق، بغداد، الموصل، ط3، 1988م، ج1، ص174-177.

[36] - داهيم، المرجع السابق، ص225.

[37] - داهيم، المرجع نفسه، ص226 -227.

شاهين وبرفقته 38 ألف جندي باتجاه أرمينيا بهدف الاستيلاء على إقليم قبدوقية في آسيا الصغرى[38].

وما إن علم أهالي مدينة ساتالا (Satale) [39] باقتراب القائد الفارسي وجنوده من مدينتهم حتى سارع حاكمها إلى إغلاق أبوابها لمنع الناس من الفرار، وأخذ يشجعهم على المقاومة وتوجه على رأس عساكره لمواجهتهم خارج أسوار المدينة، إلا أن حالة الاضطراب والخوف وعدم الثقة بقدراتهم على التغلب على الجيش الفارسي كان لها أثرها في انكسارهم وفرارهم من المعركة التي جرت بينهما، فسارعوا إلى التحصن داخل المدينة[40] التي عدل الفرس عن مهاجمتها إلى محاصرتها وقطع خطوط التموين عنها، حتى أصاب أهلها الجوع والقحط بحيث اضطر حاكمها إلى أن يعرض عليه لقاء تركها مبلغاً كبيراً من المال كغرامة حربية، الا أن الأخير أصر على تسليمه المدينة، ولما لم يجد حاكمها أمامه من خيار آخر، أرسل له رسله محملين بالهدايا النفيسة، وأعلنوا له عن فتح أبواب مدينتهم لاستقباله[41].

لم يمض شهر على استيلاء الفرس على مدينة ساتالا حتى توجه الجيش بقيادة شاهين نحو مدينة ثيودوسيوبوليس [42] التي ما إن علم حاكمها البيزنطي ما حل بمدينة ساتالا وأن الدور اقترب منه حتى اقتنع وبمشورة قواده أنه لا فائدة من المقاومة ولذلك قرر ترك المدينة مع حاميته والفرار إلى قيصرية عاصمة إقليم قبدوقية، وعندما شاهد أهالي المدينة أن الحامية البيزنطية تركت مدينتهم وأنهم لا يقوون على مقاومة الجيش الفارسي الزاحف نحوهم، تركوا أبواب مدينتهم مفتوحة، فلما اقترب القائد الفارسي شاهين منها خرج لا ستقباله قائد الجيش الأرمني، معلناً عن تسليم مدينته له دون قيد أو شرط،

---

(38) - مار ميخائيل، المصدر السابق، ج2، ص268.

(39) - داهيم، المرجع السابق، ص247. سالاتا: لم أقف على تعريف لها.

(40) - داهيم، المرجع نفسه، ص248 - 250.

(41) - داهيم، المرجع نفسه، ص250 - 255.

(42) - ثيودوسيوبوليس: من مدن الجزيرة بين حر ان ونصيبين. الحموي، ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، د.ت، ج3، ص13 – ص15.

أما القائد شاهين الذي لم يكن يتصور أن استيلاءه على المدينة سيتم بتلك السهولة، فقد أكرمه وعينه حاكماً على المدينة[43]. وبعد أن خرجت أرمينيا من قبضة البيزنطيين توجه الجيش الفارسي نحو مدينة قيصرية عاصمة إقليم قبدوقية، التي كان يتولى حكمها شقيق الإمبراطور فوكاس [44]، وكان يراقب تحركات الفرس عن كثب ويعد جيشه ومدينته لمواجهته، فجمع لها من المؤن والمواد الغذائية ما يجعلها قادرة على مواجهة أطول مدة من الحصار قد يفرض عليها، وحشد للدفاع عنها قرابة تسعة عشر ألف جندي [45]، إلا أن ذلك العدد لم يمنع الفرس من الاستيلاء عليها بعد خمسة عشر يوماً من المعارك المستمرة وكان ذلك سنة 610م[46].

مما تقدم يتبين أن الانتصارات المتلاحقة التي حققها الفرس خلال المدة من 602 – 610م تعود إلى تنظيم الجيش الفارسي وتدريبه، ومعاناة الإمبراطورية البيزنطية في تلك المدة من الضعف العسكري والإرباك الإداري والاقتصادي ما جعلها عاجزة عن مواجهة الضربات التي توالت عليها في الداخل والخارج، ولم يكن الإمبراطور فوكاس أهلاً للتحديات التي واجهتها الإمبراطورية [47]. ولذلك عدت مدة حكمه" كابوساً رهيباً من الفوضى الهدامة والظلم الممزق للدولة" [48]، فما أصاب الإمبراطورية من فوضى واضطراب في الداخل انتقل إلى الجيش الذي أخذت قوته تنهار، وساءت روحه

(43) - داهيم، المرجع السابق،، ص257 - 269.
(44) - داهيم، المرجع نفسه، ص271 -272.
(45) - بتلر، المرجع السابق، ص96 . داهيم، المرجع السابق، ص288.
(46) - داهيم، المرجع نفسه، ص271.
(47)- بلغت المنازعات الداخلية والحروب الأهلية في عهد الإمبراطور فوكاس من الشدة إلى درجة جعل الإمبراطورية تظهر وكأنها على حافة الانهيار والتفكك، فقد فتح عهده بسلسلة من اعمال القتل وجهت بشكل خاص إلى أفراد العائلات ذات المكانة والنفوذ خوفاً من معارضتهم ومقاومتهم له، فكانت النتيجة سلسلة من المؤامرات أدت إلى مذابح جديدة، كذلك اشتد اضطهاده لأتباع مذهب الطبيعة الواحدة المونوفيزتيين ولليهود، و انقلب على حزب الخضر الذين كانوا من مناصريه في بادئ الأمر فحرمهم من تولي الوظائف ووقف إلى جانبه وسانده في حكمه الاستبدادي حزب الزرق وبذلك زادت حدة الخلاف بين الحزبين الشعبيين. عاقل، نبيه، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، دمشق، 1969م، ص81- 82 . العريني، المرجع السابق، ص113.
(48) - داهيم، المرجع نفسه، ص278 –279.

المعنوية، وضعف آماله في حرب لم يجنِ منها إلا الخسائر سواء مع السلاف [49] في البلقان أو آلافار [50] الذين استولوا على مقدونيا ونزلوا بتراقيا، أو مع الفرس.

<u>الحرب الفارسية – البيزنطية (610 – 618م).</u>

بينما كان الجيش الفارسي مشغولاً بتثبيت مركزه في آسيا الصغرى، شهدت الإمبراطورية البيزنطية ثورة أطاحت بالإمبراطور فوكاس، تزعمها حاكم أفريقيا الشمالية هركليوس (Heraclius) بتأييد سكان القسطنطينية الذين ضاقوا ذرعاً بسياسة الإمبراطور فوكاس وحكمه الاستبدادي، فأرسل أسطولاً بحرياً بقيادة ابنه الذي كان اسمه هركليوس (Heraclius) هرقل (610 – 641م) أيضاً، وصل إلى القسطنطينية في الثالث من تشرين الأول سنة 610م، وفي الخامس من تشرين الأول من السنة نفسها وضع حداً لحكم الإمبراطور فوكاس وتولى عرش الإمبراطورية بدلاً عنه [51] ليبدأ حكم أسرة جديدة هي الأسرة الهرقلية. غير أن ارتقاء هرقل للعرش البيزنطي لم ينه المعارك الدائرة مع الفرس، وعلى الرغم من أن الإمبراطور هرقل كتب إلى الملك كسرى أبرويز يعلمه بالقصاص الذي أنزله بالإمبراطور المغتصب فوكاس، ويؤكد له أن إعادة السلم بين الدولتين بعد زوال مسبب تلك الحرب أصبح ميسوراً، إلا أن الملك كسرى أبرويز لم

---

(49) - السلاف: يرجع السلاف Slavs (الصقالبة) في أصلهم إلى مجموعة الشعوب الهندو-أوربية. وقد عاش أقدم السلافيين منذ ما يزيد على 500عام في منطقة تشكل اليوم جزءاً من شمال غربي أوكر انيا وجنوب شرقي بولندا، لكنهم بدؤوا يهاجرون إلى أجزاء أخرى من أوربا ما بين عامي 200 و500م، فاستقر بعضهم في المناطق التي تشكل في الوقت الحاضر غربي الاتحاد السوفيتي السابق وشرقي ووسط أوروبا، وهاجر فيما بعد آخرون إلى شبه جزيرة البلقان وأصبحوا يعرفون باسم البلقانيين، واستمروا في التوسع حتى القرن العاشر نحو الغرب والجنوب. نعمة، غطاس، الموسوعة العربية، السلافيون، دمشق، المجلد11، ص56.

(50) - الأفار: هم في الأصل من القبائل الآسيوية ينتمون إلى الهون والترك تركوا مواطنهم في آسيا الصغرى سنة 550م متجهين صوب الشواطئ الشمالية للبحر الأسود والأقاليم الواقعة شمال ضفاف الد انوب، وتمكنوا من فرض سيطرتهم على السلاف و أخذوا يقومون بغارات مدمرة على حدود الإمبراطورية الشمالية إلى داخل مقدونيا وشمال اليونان في عهد الإمبراطور جستني ان الذي حاول الإفادة منهم في التصدي لهجمات القبائل الجرمانية الساكنة شمال مجرى نهر الدانوب فعقد معهم معاهدة تحالف سنة 558م وقد طالبوا مقابل تلك الخدمة مبالغ من الأموال، إلا أنهم نقضوا ذلك الاتفاق وغاروا على أراضي الإمبراطورية سنة 562م قبيل وفاته مطالبين بالاستقرار في الأقاليم البيزنطية جنوب نهر الد انوب، وقد رفض الإمبراطور جستين الثاني معاملتهم بصفتهم أنداداً مساوين للبيزنطيين، ولما وجد أن خطرهم يفوق إمكانيات الإمبراطورية اضطر سنة 574م إلى أن يدفع لهم الأموال مقابل عدم اعتدائهم على إمبراطوريته. عبد العزيز، المرجع السابق،ج 1، ص101-102؛اومان،المرجع السابق، ص95.

(51) - داهيم، المرجع السابق، ص279 –281.

يستجب لطلب الإمبراطور، لأنه كما يبدو قد عزم على القضاء على الدولة البيزنطية بعد أن تبين له ضعفها [52]، ولذلك وجه قائده شهربرز إلى سوريا، وأوعز إلى قائده شاهين مواصلة فتوحاته في آسيا الصغرى[53].

أما الإمبراطور هرقل فبعد فشل جهوده في التوصل إلى الصلح قرر مواجهة الفرس على جبهتين في آن واحد، فأرسل إلى قيصرية في صيف سنة 611م جيشاً نجح في استردادها وأجبر الفرس على الانسحاب منها إلى أرمينيا [54]،أما الجيش الآخر الذي أرسله إلى بلاد الشام والذي تولى قيادته أخوه ثيودورس (Theodores) فلم يوفق في صد هجمات القائد الفارسي شهربرز الذي تمكن في أيار سنة 611م من الاستيلاء على أفامية[55] وأنطاكية [56]، ثم اتجه جنوباً فاستولى على مدينة دمشق سنة 613م، وفي السنة نفسها تمكن القائد الفارسي شاهين من التوغل في إقليم كيليكيا والاستيلاء على طرسوس [57] .

---

(52) - داهيم، المرجع نفسه، ص283 –284.

(53) - داهيم، المرجع نفسه، ص288.

(54) - داهيم، المرجع نفسه، ص289 - 306.

(55) - Ostrogorsky, op cit, p.85 . اومأن، المرجع السابق، ص100 –101.
أفامية (Apamea) أبامية أو أفامية : تقع في سهل الغاب جنوب أنطاكيا وهي من بناء الملك سلوقس الأول، تعرف خرائبها في الوقت الحاضر باسم قلعة المَضيق. كسو اني، جورية حنا . الإدارة والتنظيمات الإدارية الرومانية في سوريا (64ق.م –305م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005م، ص16.

(56) - أنطاكية: تقع مدينة أنطاكية في شمالي غربي سوريا قرب مصب نهر العاصي في وسط سهل العمق، وتبعد عن مدينة حلب بحدود95كم. سُميِّتْ قديماً أنطاكية دفني و أنطاكية على العاصي، كما دُعيت تيترابوليس لكونها واحدة من المدن الأربع التي بناها سلوقس نيكاتور الذي أراد أن يُشَرِّفَها باسم والده أنطوخيوس، كما شَرَّفَ مُدُناً أخرى بأسماءِ أُسرتِهِ وأقاربِهِ فبنى سِتَّ عَشْرَةَ مدينةً وسمَّاها أنطاكية. الجموي، المصدر السابق، مادة أنطاكية، ج1 ص316. ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص179 ؛ الاصطخري، ابو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1927م، ص184، ص62 . حتي، فيليب . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة : جورج حداد وعبد المنعم رافق، مرجعة : جبرائيل جبور، بيروت : دار الثقافة، 1950م، ص276 .

(57) - رنسيمان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961م، ص37. طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم بينها وبين اذنة ستة فراسخ، يشقها نهر البردان، وبها قبر الخليفة العباسي المأمون (ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت، ج2، ص883 . جيبون، إدوارد . اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة : محمد علي ابو دره، مراجعة : أحمد نجيب هاشم، القاهرة : مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1969م، ج1، ص250 –251 ؛ سايكس، المرجع السابق، ج1، ص548 .

وكانت أقسى الضربات العسكرية التي وجهها الجيش الفارسي بقيادة القائد شهربرز إلى الإمبراطورية البيزنطية هو استيلاؤه على بيت المقدس في 20 أيار سنة 614م[58]، بعد عشرين يوماً من محاصرتها وبمساعدة سكانها من اليهود، وبعد استيلائه عليها حطم الأماكن المقدسة فيها [59]، وبعد أن سلب كنوزها، وقتل عدداً كبيراً من سكانها المسيحيين، وأسر خمسة وثلاثين ألفاً [60]، من بينهم بطريرك بيت المقدس زكرياس (Zecharias) (زكريا) أرسلهم مع خشبة الصليب الحقيقية إلى عاصمة الدولة الفارسية طيسفون[61] . وخشبة الصليب تعد أهم الرموز الدينية عند المسيحيين [62]، ويروى أن اليهود أغروا القائد شهربرز بهدف تخريب مكان قبر المسيح (عليه السلام) فقالوا له :" إن ذهب أورشليم كله وفضتها وكنوزها مدفونة تحت قبر يسوع" فأذن لهم بالحفر فحفروا ثلاثة أذرع حول القبر فوجدوا كتابة تقول" هذا هو جرن يوسف المستشار، الذي وهب قبره لجسد يسوع"، فلما عرف القائد شهربرز مكائدهم طردهم [63]، وفي رواية أخرى أن

---

(58) - مؤلف مجهول، التاريخ الصغير، ص79 هامش رقم (114).

(59) - Ostrogorsky, op cit, p.83، العريني، المرجع السابق، ص 117 . عبد العزيز، المرجع السابق، ج 1، ص111.

(60) - Koenigsberger,H.G and Briggs,Asa History of Europe “ Medieval Europe 400 – 1500”, Longman ,New York,1989,p.40

(61) - Ostrogorsky, op cit, p. 95. يارشاطر واخرون، المرجع السابق، مج 3، ق1، ص265 . عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص150.

(62) - يسمي المسيحيون تلك الخشبة التي صلب عليها السيد المسيح عليه السلام بخشبة الصلبون، ويروى أن القديسة هيلينا – أم الإمبراطور قسطنطين الكبير – عثرت عليه في جبل مريه Mount Morian في بيت المقدس، وعلى الرغم من أن بعض أجزائه نقلت إلى روما والقسطنطينية من باب التبرك، إلا أن الجزء الرئيس منه ظل في بيت المقدس، وقد شيد له الإمبراطور قسطنطين الكبير كنيسة كبيرة سميت بكنيسة القيامة أو كنيسة الضريح المقدس أو القبر المقدسHoly Sepulchre. اومأن، المرجع السابق، ص 103 . عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م، ج1، ص125.

(63) - جرن يوسف : هو مشير صالح صدّيقُ من مدينة الرامة في فلسطين التوراة، العهد الجديد، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، د.ت، أنجيل القديس مرقس، الفصل، 15، الاصحاح 43 . أنجيل القديس لوقا، فصل 23، الاصحاح 50 . ابن البطريق، سعيد افتيشيوس، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، مطبعة الاباء اليسوعيين، 1905م، ج1، ص216 ويسمي القائد الساساني شهربرز بـ حروزيه. داهيم، المرجع السابق، ص345- 358.

Vasiliev,A.A. History of the Byzantine Empire 324-1453 ,Second Edition ,The Regents of the University of Wisconsin 1952,p

القائد شهربرز استعمل أقسى طرق التعذيب مع أسقف بيت المقدس ومن كان بها من القسيسين حتى دلوه على مكان خشبة الصليب، وكانت قد وضعت في تابوت من الذهب في أحد الحقول(64) .

ويرجع بعض المؤرخين السهولة التي مكنت الفرس من الاستيلاء على سوريا وفلسطين إلى أوضاعها الدينية، فغالبية سكان تلك البلاد ولا سيما سكان سوريا لم يكونوا يدينوا بمذهب الإمبراطورية البيزنطية الرسمي، ومن ثم فإن الاضطهاد الذي مارسته الأخيرة ضد النساطرة والمونوفيزتيون (أصحاب الطبيعة الواحدة) في تلك الأقاليم كان من نتيجته أن يرحب هؤلاء بالخضوع للساسانيين الذين عرفوا بتسامحهم الديني في بلادهم مع النساطرة(65).

وبذلك يكون كسرى أبرويز قد استولى على سوريا برمتها وبدأ يفكر بإعادة أمجاد الإمبراطورية الأخمينية وتحقيق فكرة العالمية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفرس لم يتدخلوا في الحياة الاجتماعية والفكرية والدينية للسكان العرب المقيمين في سوريا بل تركوا لهم الحرية في إدارة شؤونهم على مختلف الأصعدة، ومن هنا تأثر الفرس بالحضارة العربية تأثراً كبيراً، بخاصة في مجال فن البناء والعمارة، وكذلك في المجال الثقافي حيث أثرت العربية باللغة الفارسية تأثيراً واضحا لازال قائماً حتى يومنا هذا.

وفي سنة 615م تجددت هجمات الجيش الفارسي الذي يقوده القائد شاهين على آسيا الصغرى فاستولى على مدنها الواحدة تلو الأخرى، حتى وصل إلى مدينة خلقدونية على الضفة الشرقية من مضيق البوسفور قبالة العاصمة القسطنطينية فحاصرها (66)، ولما شعر الإمبراطور هرقل باقتراب الخطر من عاصمته أرسل رسله إلى الملك كسرى أبرويز

(64) - العارف، عارف، المسيحية في القدس، مطبعة دير الروم الأرثوذكسي، القدس، 1951م، المرجع السابق، ص217.

(65) -Ghirshman ,RomanIran from the Earliest times to the Islamic conquest, London1954.p.306

(66) - Vasiliev, op cit,p.195

طالباً الصلح ومعلنا عن استعداده على التنازل عن أرمينيا ومدن الجزيرة بما فيها مدينة دارا، إلا أن الأخير لم يرفض طلبه وحسب، بل أمر بحبس رسله، وأرسل إلى قائده شاهين مهدداً إياه بالقتل إذا لم يحضر الإمبراطور نفسه مقيداً بالأغلال [67]، فاستجاب القائد شاهين لأوامره واستمر في مواصلة حصاره لمدينة خلقدونية حتى تمكن من الاستيلاء عليها سنة 617م[68].

لم يكن الفرس الخطر الوحيد الذي هدد القسطنطينية والذي كان على الإمبراطور هرقل تركيز جهوده لمواجهته، ففي السنة نفسها أي سنة 617م، هاجم السلاف وآلافار نواحيها الشمالية وعاثوا بها خراباً وفساداً، حتى أن الإمبراطور نفسه كاد أن يذهب ضحية مؤامرة دبرها ضده آلافاريون في أثناء اجتماعه مع رئيسهم للتفاوض في هركلية (Heraclea) (هرقلة) [69] في تموز 617م[70].

وفيما يتعلق بالقسم الآخر من الجيش الفارسي أي الجيش الذي يقوده شهربرز فبعد استيلائه على بيت المقدس توجه إلى مصر للاستيلاء على مدينة الإسكندرية لأهميتها التجارية، وكانت إلى جانب إحاطتها بمياه النيل من ثلاث جهات، لها أسوار وأبواب حصينة بحيث تعذر على القائد شهربرز فتحها بعد شهر من محاصرتها [71]، فقرر تركها إلا أنه عدل عن رأيه بعد أن أخبره أحد المسيحيين من سكان المدينة اسمه بطرس" أني اسلم المدينة لك" وكان بطرس هذا قد عثر في خزانة الوثائق في المدينة، على كتابة في

---

(67) - مار ميخائيل، المصدر السابق، ج2، ص292. اومأن، المرجع السابق، ص103 . الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، د. ت، ص75 . العارف، المرجع السابق، ص217.

(68) - بتلر، المرجع السابق، ص 101. رستم، المرجع السابق، ج 1، ص224 نقلاً عن الراهب اليوناني أنطيوخوس ستراتيجوس Antiochus Strategus وكان شاهد عيان على تلك الأحداث.

(69) - ابن البطريق، المصدر السابق، ج 1، ص216 . مار ميخائيل، المصدر السابق، ج 2، ص293. مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص80 . Vasiliev, op cit,p.195 .

هركلية هرقلة : مدينة تركية تقع جنوب شرق قونية، اسمها في الوقت الحاضر أرغلي، المنجد، صلاح الدين، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي، إيران، أنتشارات بنياذ فرنك، 1398هـ/1978م، ص38.

(70) - Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95. ؛ اومأن، الإمبراطورية البيزنطية، ص104 – 105، العريني،الدولة البيزنطية، ص119.

(71) - موس، هـ، سأنت ل، ب، ميلاد العصور الوسطى 395- 814، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة السيد الباز العريني، القاهرة، عالم الكتب، 1967م، ص232. Ostrogorsky,op cit, p. 95.

ذيل كتاب تقول" عندما يقوم الضيق على الإسكندرية فسيتم فتحها من الباب الغربي المواجه للبحر" [72]، وهذا الباب كان مفتوحاً دائماً، إذ كانت تدخل منه إلى المدينة السفن القادمة بتجارتها من البحر كما تدخل منه زوارق صيد السمك التي تأتي بما تحمل كل يوم إلى المدينة [73]، فجمع القائد شهربرز عدداً من قوارب الصيادين وجعل فيها الجند بعد أن تنكروا بلباس صيادي السمك، وفي الصباح الباكر والظلام قائم اختلطوا مع قوارب الصيادين الحقيقية ودخلوا معهم إلى المدينة، فقتلوا حراس الأبواب وفتحوها بوجه رفاقهم معلنين من أعلى السور انتصار القائد شهربرز واستيلائه على المدينة [74]. وهذا يعني أن الخيانة هي التي مكنت الفرس من الاستيلاء على المدينة، وكان ذلك في السنة الثامنة والعشرين من حكم الملك كسرى أبرويز أي سنة 618م[75]. كان فقدان مصر كارثة بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية زادت من تدهور اقتصادها وبخاصة في العاصمة، إذ انقطع عنها المصدر الرئيس الذي كان يمونها بالقمح[76].

وهكذا فإن الإمبراطور هرقل بعد أن خسر أرمينيا وما وراءها وهي أخصب البقاع بالرجال لتعبئة الجيش، وخسر مصر وهي مركز تموين العاصمة، وأضاع المدينة المقدسة وخشبة الصليب الرمز الديني للمسيحيين، وبعد أن أصبح البلقان مسرحاً لهجمات آلافار والسلاف، لم يبق من جميع بلدان الإمبراطورية بلد يمكن اللجوء إليه والاحتماء به سوى أفريقية[77]، ولذلك حاول الإمبراطور الهروب إليها بحراً من عاصمته القسطنطينية، إلا أن بطريرك العاصمة سرجيوس منعه من ذلك ووعده بتأييده بكل نفوذ الكنيسة ومده بكل أموالها لشن حرب دينية ضد الفرس[78].

---

[72] - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص81 .
[73] - بتلر، المرجع السابق، ص117 .مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص81 .
[74] - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص82- 83.
[75] - الثعالبي، حسين بن محمد المرغني، غرر السير المعروف بـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ترجمة هـ، زوتبرغ، باريس، المطبعة الوطنية، 1950م، ص235. الطبري، المصدر السابق، ج1، ص466 .
[76] - Vasiliev, op cit,p.195. . ماسه، هنري و آخرون، تمدن إيراني أنر جندتن ازخاورشناس ان فرانسوى، ترجمة عيسى بهنام، طهران، مطبعة بهمن، 1337هـ/1958م، ص190.
[77] - Ostrogorsky, op cit,p.95. عاقل، المرجع السابق، ص86.
[78] - داهيم، المرجع السابق، ص384 – 389 . سايكس، المرجع السابق، ج1، ص669.

وتجمع المصادر على أن السفن التي ساقتها الرياح إلى صفوف الفرس في اثناء محاصرتهم للإسكندرية وكانت محملة بنفائس المملكة وخزائنها وذخائرها، تعود إلى الإمبراطور هرقل الذي حاول الهرب قبل أن يستولي الفرس على القسطنطينية، وقد استولى عليها القائد شهريرز وأوصلها مع مفتاح مدينة الإسكندرية إلى الملك كسرى أبرويز في العاصمة طيسفون، وقد سميت تلك الكنوز بـ (كنج باد آورد) أي (فيء الرياح) [79].

تطور النزاع الفارسي البيزنطي (618 –628م).

بعد أن أعلنت الكنيسة وقوفها إلى جانب الإمبراطور هرقل وأعطت للحروب التي يقوم بها صفة القدسية الدينية، وبعد الإهانة التي تلقاها من الملك كسرى أبرويز في خطابه الذي أرسله إليه متفاخراً بما حققه من الانتصارات واقتراب جيشه من عاصمة بيزنطة القسطنيطنية التي جاء فيها :" من كسرى أعظم الآلهة وسيد العالم كله إلى هرقل عبده الفاجر وعديم الإحساس، ....، إنك تقول إنك تثق في إلهك ، فلماذا إذن لم يخلص من يدي قيسارية وبيت المقدس والإسكندرية ؟ وها أنا سأخرب القسطنطينية أيضاً ؟ على أنني ساغفر لك جميع ذنوبك إذا قدمت إلي ومعك زوجتك وأطفالك وسأمنحك الأراضي والكروم وعروش الزيتون، وسأنظر إليك نظرة رحيمة، لا تغش نفسك بأملك الخائب في ذلك المسيح الذي لم يستطيع حتى أن ينقذ نفسه من اليهود الذين قتلوه وصلبوه"[80].

عندئذ قرر الإمبراطور هرقل تولي قيادة الجيش البيزنطي بنفسه والسير به لمحاربة الفرس وقبل بدء هذه الحرب، عقد الإمبراطور هرقل سنة 619م صلحاً مع قبائل آلافار

---

(79) - Vasiliev, op cit,,p.196 . اومأن، المرجع السابق، ص104. بيرنيا، حسن، تاريخ إيران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة يحيى الخشاب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص273 . زرين كوب، المرجع السابق، ص248 .

(80) - Ostrogorsky, op cit,, p. 95. . اومأن، المرجع السابق، ص 104– 105 . موس، المرجع السابق، ص232 . العريني، المرجع السابق، ص119. داهيم، المرجع السابق، ص361 – 364.

الخطر الثاني الذي كان يهدد القسطنطينية، قبل بمقتضاه أن يدفع لهم مقداراً كبيراً من المال، وقد مكنه ذلك الصلح من نقل قواته إلى آسيا من دون أن يعوقها عائق[81].

وفي سنة 622م خرج الإمبراطور هرقل من القسطنطينية باتجاه آسيا الصغرى حيث قضى فيها شهور فصل الصيف يدرب جنوده وينظم دفاعاتهم ويضع خططاً حربية جديدة، وفي الخريف من السنة ذاتها أعلن بدأ حملته العسكرية ضد الفرس[82]، وبدلاً من أن يهاجم الجيش الفارسي المرابط في خلقدونية، سار بحراً ونزل في مدينة ايسوس الواقعة في الركن الشمالي الشرقي من بلاد الشام ومن خلالها يمكن الدخول من بلاد الشام إلى آسيا الصغرى، فلما سمع الفرس بذلك توجه للقائه القائد شهربرز، وحتى لا يضطر الإمبراطور هرقل إلى خوض الحرب في خليج ايسوس الضيق توجه نحو كيليكيا (أرمينيا الصغرى) الواقعة بين البحر المتوسط وجبال طوروس فتبعه القائد الفارسي شهربرز إلى هناك، ودارت بين الطرفين معركة قوية شارك فيها الجيش الأرمني إلى جانب الإمبراطور هرقل فتمكنا من هزيمة القائد الفارسي شهربرز، وبذلك حقق الإمبراطور هرقل أول اهدافه وهو تحرير أو تخليص آسيا الصغرى من الفرس[83].

وعلى الرغم من ذلك الانتصار فإن الإمبراطور لم يتمكن من مواصلة تقدمه العسكري فاضطر إلى العودة إلى القسطنطينية، لأن آلافار استغلوا فرصة غيابه ونقضوا الصلح المعقود بينهما، وقبل رحيله إلى القسطنطينية حاول الإمبراطور عقد الصلح مع الملك كسرى أبرويز كي يتمكن من التفرغ لمواجهة أعدائه في جهة الغرب، إلا أن الأخير على الرغم من خسارته رفض قبول الصلح، وأرسل له كتاباً طفح بالشتائم والإهانات[84]، يقول فيه" من كسرى محبوب الآلهة، ملك وسيد كل الأرض، ...، إلى هرقل خادمنا

---

(81) - منذ موت الإمبراطور ثيودوسيوس الأول سنة 395م لم يخرج أحد من الأباطرة البيزنطيين بنفسه إلى ميدان القتال ما عدا الإمبراطور موريس .Ostrogorsky,op cit, p100 . مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص81.

(82) - Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 101؛ اومأن، الإمبراطورية البيزنطية، ص 105 ؛العريني،الدولة البيزنطية،ص124 ؛ موس، ميلاد العصور الوسطى،ص234 .

(83) - بتلر، المرجع السابق، ص116.

(84) - مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص81 . بتلر، المرجع السابق، ص117.

الأحمق الحقير، إن دولة الروم من أملاك كسرى، وما غمبراطورها إلا أحد العصاة والعبيد، وأن كسرى لن يمنحه السلام حتى يترك عبادة الصليب ويعبد الشمس" [85] .

قرر الإمبراطور هرقل رد الإهانة، بشراء صلح جديد مع آلافار بزيادة مقدار الضريبة التي كانت تدفع لهم وبإرساله عدداً من أقاربه كرهائن عند خاقأنهم[86]، وبذلك أصبح في موقف يسمح له باستئناف الحرب مع الفرس، فتوجه في آذار سنة 623م إلى آسيا الصغرى مرة أخرى فاجتاز قيصرية متجهاً إلى أرمينيا، فاستولى على ثيودوسيوبوليس ودمر مدينة دوين عاصمة أرمينيا، وعدداً من المدن الأرمينية، ثم اتجه جنوباً إلى إقليم أذربيجان قاصداً مدينة جنزك بهدف تخريب معابد النار فيها[87]، وقد ذعر الملك كسرى أبرويز لسماع ذلك، ولأن قادته كانوا متفرقين في مناطق مختلفة، قرر التوجه بنفسه إلى مدينة جنزك مع جيش مكون من أربعين ألف جندي، ولعدم قدرته على خوض غمار الحرب عهد بقيادة ذلك الجيش إلى القائد العام للجيش الفارسي، وبعد أن دارت المعركة بين الطرفين وتبين للملك كسرى أبرويز كثرة القتلى من جنده وأن النتيجة ستحسم لصالح البيزنطيين سارع إلى الفرار من المدينة حاملاً شعلة ناره المقدسة، أما الإمبراطور هرقل فقد تمكن في السنة نفسها من الاستيلاء على المدينة وخرب معبدها انتقاماً مما فعله الفرس ببيت المقدس[88].

وقد وقع في يد الإمبراطور هرقل عدد كبير من الأسرى عاد بهم إلى أرمينيا ليقضي فصل الشتاء[89]، حيث شغل نفسه بتجنيد سكان القفقاس [90]، وعلى الرغم من الغارات

---

(85)- الثعالبي، المصدر السابق، ص 701. الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص466 . مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، ج1، ص148.

(86) - Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 95. العريني، المرجع السابق، ص119.

(87) - رستم، المرجع السابق، ج1، ص225.

(88) - Lindsay , JacK, Byzantium in to Europe , London,1952,,p.78 . حافظ، فؤاد حسين، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، دار نوبار للطباعة، 1986م، ص 80 –81. رستم، المرجع السابق، ج1، ص225 .

(89) - الثعالبي، المصدر السابق، ص 701. الفردوسي، أبو القاسم محمد، الشاهنامة، ترجمة الفتح علي البنداري، تصحيح وتعليق، عبد الوهاب عزام، طهر ان، 1970، ج2، ص245 . ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، إيران، مطبعة أمير، 1373هـ، ص665.مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص82. كرستنسن، المرجع السابق، ص447.

الموفقة التي وجهها للجيش الفارسي خلال السنتين 624 و 625م في إقليم كيليكيا، إلا أنه لم يتمكن من اجتياز الأراضي الفارسية واضطر إلى الانسحاب شمالاً ليقضي شتاء سنة 625م(91).

يبدو أن انسحاب الإمبراطور هرقل قوى من معنويات الملك كسرى أبرويز فصمم سنة 626م على حشد قواه جميعها لمهاجمة بيزنطة والاستيلاء على عاصمتها القسطنيطينة، وكانت خطته تقوم على تقسيم جيشه إلى قسمين الأول يقوده القائد شهربرز ليعمل على مشاغلة الإمبراطور واستيقافه في أرمينيا، في حين يقوم القسم الآخر الذي تولى قيادته القائد شاهين بمهاجمة القسطنطينية، وبالتعاون مع آلافار الذين نقضوا الصلح مع الإمبراطور هرقل بتحريض من الملك كسرى أبرويز، وسيقومون بمهاجمتها من جهة الشمال(92).

وما إن علم الإمبراطور هرقل بتلك الخطة (93)، حتى أرسل إلى القسطنطينية قسماً من جيشه بقيادة أخيه ثيودورس (Theodores) وأوكل إليه مهمة الدفاع عنها بالتعاون مع بطريقها سرجيوس، في حين تمسك هو بأرمينيا(94).

اجتاز قائد الفرس شاهين آسيا الصغرى بجيش كبير وتمكن من الاستيلاء على خلقدونية، وأقام معسكره على البوسفور، وبعد ذلك بمدة قصيرة حاصر خاقأن آلافار بجموع كبيرة من آلافار والسلاف العاصمة براً وبحراً، وعلى الرغم من أن الحصار استمر ثلاثة أشهر من شهر حزيران حتى آب سنة 626م، إلا أن المدينة صمدت وذلك

(90) - اومأن، المرجع السابق، ص 103 . سايكس، المرجع السابق، ج 1، ص668 . هسي، المرجع السابق، ص 66-67 .

(91) - Ostrogorsky,op cit, p. 102.

(92) - ؛سايكس، تاريخ إيران، ج1، ص673؛ موس، ميلاد العصور الوسطى، ص234 . Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.197

(93) - Lindsay , JacK, Byzantium in to Europe , London,1952,p.78 . Vasiliev, op cit,p.196. اومأن، المرجع السابق، ص 105 . رنسيمأن، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة، عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961م، ص37 . عاقل، المرجع السابق، ص88 . موس، المرجع السابق، ص233 .

(94) - Ostrogorsky,op cit , p.100. الشيخ، المرجع السابق، ص79.

بفضل الدور الذي أداه البطريرك سرجيوس في إثارة الحماس الديني في نفوس سكان العاصمة، وشجاعة حاميتها، وقوة أسطولها البحري[95]، قد تمكن الأسطول البيزنطي من إلحاق الهزيمة بالسفن الفارسية التي أبحرت باتجاه القسطنطينية لمساعدة آلافاريين وقتل ما يقارب 4 آلاف رجل منهم[96]، كما ألحق هزيمة أخرى بالأسطول السلافي، وقد ساعد انكسار آلافاريين في المعارك البرية على فشل الهجوم الفارسي الذي ما لبث أن لحقت بقائده شاهين الهزيمة على يد الجيش البيزنطي[97].

وقد أساء الملك كسرى أبرويز الظن بقائده واتهمه بالخيانة والتواطؤ مع الإمبراطور هرقل، ويذكر أن القائد شاهين مالبث أن مات بعد هذه الهزيمة كمداً وخوفاً من غضب الملك[98].

وفي الوقت الذي كانت فيه العاصمة القسطنطينية تواجه محنة الحصار كان الإمبراطور هرقل مرابطاً مع جيشه في إقليم لازيكا[99]، ونجح في عقد تحالف مع الخزر الذين كانت دولتهم تتمركز في شمال القفقاس لمحاربة الفرس وطردهم من إقليم القفقاس، وبالفعل في سنة 627م حارب الخزر الفرس في القفقاس[100]، فاستولوا على مدينة دربند (باب الابواب) [101] وبردعة[102] ثم حاصروا تفليس عاصمة إقليم إيبريا واستولوا عليها،

---

[95] - Ostrogorsky, op cit, p. 101. اومأن، المرجع السابق، ص 105 . العريني، المرجع السابق، ص 124 . موس، المرجع السابق، ص234.

[96] - اومأن، المرجع السابق، ص 105 . داهيم، المرجع السابق، ص 405-419. موس، المرجع السابق، ص234. Ostrogorsky, op cit, p. 101

[97] - Ostrogorsky, op cit, p. 101.

[98] - بتلر، المرجع السابق، ص 156 . الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري، صلاح عبد الهادي : دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، بغداد، جامعة البصرة، 1986م، ص312. العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسانية عصر الأكاسرة 226 – 651م، بيروت، دار الفكر المعاصر ودمشق، دار الفكر، 1999م، ص72 .عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص153 .

[99] - لازيكا : مدينة تقع على الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود. ليسترنج، كي، بلد ان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد،1954م، ص179، ص186. Vasiliev, History of the Byzantine Empire,p.139

[100] - Ostrogorsky, op cit, p. 101. عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص152.

[101] - Ostrogorsky, op cit, p. 102 . حافظ، المرجع السابق، ص80. كرستنسن، المرجع السابق، ص431 .

دربند : يسميها العرب باب ا لأبواب، تقع على ساحل بحر قزوين وهي الحد بين الدولة الساسانية وبين مملكة الخزر، اشتهرت بصناعة ثياب الكتان. الاصطخري، المصدر السابق، ص184 ؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ص390 – 391.

في الوقت الذي اجتاز فيه الإمبراطور هرقل أرمينيا بعد تغلبه على الفرس، واتجه مجدداً نحو أذربيجان فاستولى على مدينة جنزك وبعد ذلك انحدر إلى وادي نهر دجلة [103].

وتجمع المصادر على أن الملك كسرى أبرويز قد ترك العاصمة طيسفون واتخذ من دستكرد[104] الواقعة على بعد 107 كم إلى الشمال الشرقي منها مقراً له وذلك منذ سنة 604م[105]، ولما بلغه أن الإمبراطور هرقل وصل إلى نصيبين أمر قائده راهزار أن يرابط في اثنى عشر ألف جندي في مدينة نينوى ويمنع الجيش البيزنطي من تجاوزها، ونفذ الأخير ما أمر به الملك إلا أنه بعد أن علم من عيونه أن عدد الجيش البيزنطي يصل إلى سبعين ألف جندي ايقن أنه ومن معه عاجزون عن مقاومته، وكتب إلى الملك كسرى أبرويز يقول له" غير مرة دَهم هرقل إياه بمن لا طاقة له ومن معه بهم، ولكثرتهم وحسن عدتهم" فكان جواب الملك له" إن عجز عن الروم فلن يعجز عن استقتالهم وبذل دمائهم في طاعته"[106]، وفي الثأني عشر من شهر كانون الأول سنة 627م كان الإمبراطور هرقل على رأس جنده أمام نينوى [107]، فنشبت بين الطرفين

---

(102)- خنجي، أمير حسين، تاريخ إيران زمين تاريخ إيران از دور تربن دورأن تا سال 628ميلادي، ص658.داهيم، المرجع السابق، ص421 –434 . سايكس، المرجع السابق، ص671. كرستنسن، المرجع السابق، ص431 . ماسه، هنري واخرون، تمدن إيراني أنر جندتن ازخاورشناسأن فر انسوى، ترجمة عيسى بهنام، طهر ان، مطبعة بهمن، 1337هـ/1958م، ص191. Ostrogorsky, op cit, p. 102 .
بردعة، أو برذعة، هي قصبة إقليم الرأن الواقع شمال نهر الرس، وتقع على بعد ثلاثة فراسخ من نهر الكر الاصطخري، مسالك الممالك، ص182- 183. ابن عبد الحق، المرجع السابق، ج1، ص182.

(103) - تفليس: بفتح أوله. بلد بأرمينية وبعض يقول بأرأن وهي قصبة ناحية جرزأن قرب باب الأبواب. الحموي، المصدر السابق، الجزء الثلثي، مادة تفليس.

(104) - Ostrogorsky, op cit, p. 102 . العريني، المرجع السابق، ص125 . عبد العزيز، المرجع السابق، ج1، ص153 .

(105) - موس، المرجع السابق، ص234.

دستكرد : دست كرد عند ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، تقديم محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص40، أما بقية الجغرافيين والمؤرخين العرب فيسمونها دسكرة الملك أو دستجرد خسرو، وقالوا عنها إنها قرية في طريق خراسان قريبة من شهربان المقدادية، وسميت دسكرة الملك لأن هرمز بن سابور بن أردشير كان يكثر النزول بها الحموي، المصدر السابق، ج2، ص455 . ولا تزال خرائبها المعروفة بـ اسكي بغداد ظاهرة للعيان في الطريق بين بعقوبة وخانقين بالقرب من شهربأن، نولدكه، تيودور، تاريخ إيرانيأن وعربها در زمأن ساسانيان، چاپ دوم، ترجمة عباس زرياب، تهرأن، بزوهشكاه علوم أنسأني ومطابعات فرهنكي 1378هـ، ص316 هامش رقم (4) .

(106) - Ostrogorsky, op cit, p. 102
Vasiliev, op cit,p.197 - 88. سايكس، المرجع السابق، ج1، ص673. موس، المرجع السابق، ص234.

(107) - خنجي، المرجع السابق، ص658.

معركة حاسمة قتل فيها القائد الفارسي راهزار وستة آلاف من جنوده، وما إن بلغ الملك كسرى أبرويز ما آلت إليه نتيجة المعركة حتى استولى عليه الخوف فسارع إلى الهرب من دستكرد إلى طيسفون[108]، مع زوجته شيرين وابنين منها وثلاثة أزواج من بناته من ثغره في السور [109]، ويروي صاحب كتاب (التاريخ الصغير)" أن الملك كسرى أبرويز عندما استعد للهرب من دستكرد سمع رنين ناقوس فارتعش جداً، ... فقالت له زوجته شيرين، لا تخف أيها الإله، فأجابها : أي إله أنا، وها هو ذا قس واحد يطاردني، ثم أقسم إذا ما انتصر فإنه لن يترك كنيسة قائمة ولا ناقوساً رناناً في طول المملكة وعرضها، فلقد أثار رنين الناقوس في نفسه خوفاً وفزعاً بحيث إنه اعتقد أن البيزنطيين يحملون معهم ناقوساً"[110]. واصل الإمبراطور هرقل تقدمه فاستولى في بداية سنة 628م على مدينة دستكرد واستحوذ على كنوزها الملكية، ومن بينها 300 علم بيزنطي كل منها يدل على معركة معينة هزم فيها البيزنطيين كما أطلق سراح آلاف من الأسرى البيزنطيين[111] .

ألقى الملك كسرى أبرويز مسؤولية هزيمته في دستكرد على عاتق قواده فكتب إليهم يتوعدهم بالعقاب، وكتب إلى قائده شهربرز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك، إلا أن الأخير بعد أن ايقن من نية كسرى أبرويز في قتله من خلال ثلاثة كتب كان قد أرسلها إليه، امتنع عن الحضور وصالح الإمبراطور هرقل واتفق معه على محاربته، ورسم له طريق الوصول إلى النهروان [112]، ثم إن الإمبراطور هرقل بعد أن استوثق منه سار حتى قارب العاصمة طيسفون[113]، فلما بلغ الملك كسرى أبرويز الخبر ضاق به ذرعا، واضطرب عليه أمره، فعمد إلى الحيلة" فكتب كتاباً إلى قائده شهربرز يشكره فيه ويحمده

(108) - موس، المرجع السابق، ص234.
(109) - Ostrogorsky, op cit, p. 102 . عاقل، المرجع السابق، ص 91 . العريني، المرجع السابق، ص126 – 127.
(110) - بتلر، المرجع السابق، ص158 . رستم، المرجع السابق، ج1، ص235.
(111) - Ostrogorsky op cit, p. 102. عاقل، المرجع السابق، ص 91 . العريني، المرجع السابق، ص 126 – 127.
(112) - بيرنيا، المرجع السابق، ص274. خنجي، المرجع السابق، ص658.سايكس، المرجع السابق، ج1، ص673.
(113) - Ostrogorsky, op cit, p. 103 . كرستنسن، المرجع السابق، ص431.

ويصف دهاءه ومكره ويقول فيه، إنك بعد أن استدرجت قيصر، واستخرجته من بلاده فالزم مكانك، فإني واصل على الإثر، فإذا وصلت بعساكري نهضت من ذلك الجانب فيصير قيصر بيننا فنحيط به وبمن معه فلا يفلت منهم أحد" [114]، ثم حمّل ذلك الكتاب لرجل من ثقاته، وأوصاه أن يسلك طريقاً يقبض فيه عليه جنود الإمبراطور، فإذا ما قرأ الإمبراطور ذلك الكتاب وسأله عن حاله، يخبره أنه رسول الملك كسرى أبرويز إلى قائده شهربرز، فخرج الرجل ونفذ ما أمر به الملك، فلما وقف الإمبراطور على ذلك الكتاب ظن أن القائد شهربرز قد خدعه ومكر به ولذلك فضل الانسحاب والعودة إلى بلاده [115]. وتذكر المصادر أنه انسحب إلى مدينة جنزك في آذار سنة628م[116].

أما الملك كسرى أبرويز فإنه وبعد أن تخلص من خطر الإمبراطور تخلص من رئيس الحرس وقتل كل من كان في السجن، وكانوا ستة وثلاثين ألفاً، وكذلك جميع القادة الذين انهزموا في معاركه مع البيزنطيين [117]، ويبدو أن زاذأن فروخ كان شأنه شأن عامة الناس ساخطاً على تصرفات الملك، ولذلك اتفق مع أولئك القادة ومع قائد آخر يسمى تخوار[118] كان قد وصل إلى العاصمة بجنوده [119]، فضلاً عن القائد شهربرز الذي زاد حنقاً عليه بعد أن تبين له أنه قد أرسل أحد قادته لقتله [120]، على خلع كسرى

---

(114) - النهروان: هي إحدى نواحي العراق التابعة إلى قضاء المدائن.

(115) - حافظ، المرجع السابق، ص81. طه، صلاح الدين أمين، فتح العرب أرمينية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد – كلية الآداب، 1970م ، ص43.

(116) - ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيبأني، الكامل في التاريخ، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2004م، ج 1، ص 305. الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 467 . مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص149 .

(117) - سايكس، المرجع السابق، ج 1، ص673 . كرستنسن، المرجع السابق، ص 437-438 . ملايري، محمد محمدي، تاريخ وفرهنك إيران در دور ان انتقال از عصر ساساني به عصر إسلامي، چاپ دوم، تهرأن، أنتشارات توس، 1379هـ، ج1، ص264.

(118) - نينوى : تقع على الج انب الشرقي من نهر دجلة بمسافة كيلو متر عن الموصل. باقر وسفر، المرشد، الرحلة الثالثة، ص24.

(119) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص 305.الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص 467. مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص149 .

(120) - رستم، المرجع السابق، ج 1، ص227 . سايكس، المرجع السابق، ج 1، ص673 . ويجعل Ostrogorsky تاريخ المعركة مع بداية شهر أيلول سنة 627م op cit,p.103. تخوار : هو قائد إقليم بلخ وكان قد قدم مع جيش خراسان إلى العاصمة طيسفون خنجي، المرجع السابق، ص660 .

أبرويز الذي كان بقصره، فحاول الهرب إلى بستان قريب لكنهم ظفروا به وألقوه في السجن، ثم قتلوه بعد ذلك، وملكوا ابنه قباذ الثاني (شيرويه) (Kavadh II) (628-629م) وكان ذلك في 25 شباط 628م[121]. يبدو أن حروب كسرى أبرويز مع البيزنطيين خلال مدة الستة والعشرين سنة (602 – 628م) وإن جعلت حلم إعادة حدود الدولة الفارسية إلى ما كانت عليه في عهد الإمبراطورية الأخمينية حقيقة، إلا أنها لم تكن إلا صحوة موت شأنها في ذلك شأن إعادة وحدة الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور جستنيان (527 – 565م)، وأن ما حققه الملك أبرويز من انتصارات سريعة ومتعاقبة كانت نتيجة لخبرة الجيش الفارسي ومِرانه وبشكل خاص بفضل الإصلاحات التي قام بها الملك كسرى أنوشروان في شؤون الجيش، وكذلك بفضل خبرة قادته الحربية، إلا أن كسرى أبرويز لم يدرك تلك الأمور، فحروبه المستمرة قضت على جيشه المدرب، وعدم اعترافه بفضل قواده وتهديدهم بالعقوبة دفعهم إلى التخلي عن الإخلاص له ومن ثم إلى الانقلاب عليه وخلعه، وبالإجمال فإن نتيجة تلك الحروب كانت وبالاً على الدولة إذ اضعفتها إلى الحد الذي جرها إلى التدهور والانهيار بسرعة.

وما إن تولى الملك قباذ الثاني (628-629م) عرش البلاد حتى وضعت الحرب الفارسية البيزنطية أوزارها، إذ كتب إلى الإمبراطور هرقل بطلب الصلح [122]، ولم يتردد الأخير في قبوله، ويبدو أن سبب ذلك إلى جانب حالة التعب والإنهاك الذي أصابه وجيشه في حربه الدفاعية التي استمرت قرابة ست سنوات (622- 628م)، وحاجته إلى مدة من السلام يسترد فيها الأنفاس ويعيد تنظيم الأحوال، فقد وجد في طلب الملك قباذ الثاني فرصته في فرض شروطه التي تعيد إلى الإمبراطورية هيبتها العسكرية والدينية.

---

(121) - الطبري، المصدر السابق، ج1، ص467 . مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص149.
(122) - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص305 . الطبري، المصدر نفسه، ج 1، ص467 . مسكويه، المصدر نفسه، ج1، ص149 .

وفي نيسان سنة 628م في أنطاكية[123]، وقع رسول الملك قباذ القائد العام للجيش (اسفاد جشنس) [124] على شروط الصلح التي أملاها عليه رسول الإمبراطور هرقل[125]، والمتضمنة على ما يأتي:

1 -إعادة حدود الطرفين إلى ما كانت عليه قبل الحرب أي إلى اتفاقية سنة 591م التي بموجبها أعيدت كل الأقاليم التي استولى عليها الفرس وهي (أرمينيا ومدن الجزيرة وبلاد الشام ومصر) إلى بيزنطة.

2 -إطلاق سراح الأسرى الذين وقعوا في أسر كلا الطرفين.

3 -إعادة الصليب المقدس الذي أخذه الفرس من بيت المقدس[126].

وبإبرام ذلك الصلح انتهت الحروب الفارسية البيزنطية إلى الأبد، وعاد الإمبراطور هرقل إلى القسطنطينية منتصراً ظافراً بعد غياب استمر ست سنوات، [127].

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحروب التي دارت بين الفرس والبيزنطيين ونبأ بانتصار البيزنطيين في قوله تعالى :﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[128]. أما عودة الصليب إلى بيت المقدس فإن المصادر التي نقلت عن المؤرخ الأرميني (ثيوفأنس) تذكر أن الإمبراطور هرقل احتفل بذلك في آذار سنة

---

[123] - الفردوسي، المصدر السابق، ج 2، ص249 . لويد، سيتن، الرافدأن موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس، القاهرة، 1948م، ص183 – 184 . بحسب ما تذكره الروايات أن قباذ شيرويه ابن الملك كسرى أبرويز من ماريا ابنة الإمبراطور موريس كان على علم بتلك المؤامرة وأنه قبل بقتل والده بعد مدة من حبسه، لأنه أراد أن يولي أخاه الصغير مردأنشاه من زوجته شيرين بدلاً عنه يارشاطر وآخرون، المرجع السابق، مج3، ق1، ص267 . رازي، عبد الله، تاريخ مفصل إيران از تاسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهرأن، شركة الحاج محمد حسين إقبال وشركاه، 1335هـ، ص83.

[124] - Ostrogorsky, op cit, p. 103 . خنجي، المرجع السابق، ص659 . يارشاطر وآخرون، المرجع السابق، مج3، ق1، ص266.

[125] - رستم، المرجع السابق، ج1، ص227 . كرستنسن، المرجع السابق، ص451. ملايري، المرجع السابق، ج1، ص264.

[126] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص305 . الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص467 . الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص248 . مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص150 .

[127] - الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، إيران، مطبعة فروردين، 1914م، ص180 – 181.

[128]- القرآن الكريم، سورة الروم، الآيتان 2- 3 .

630م[129]، إلا أن المؤرخ (الفردوسي) يستبعد أن تكون سنة 630م السنة التي أعاد بها الإمبراطور هرقل الصليب إلى مكانه، ويحدد تاريخ ذلك بسنة 629م[130]، ودليله في ذلك رواية انفرد بذكرها (الأصفهاني) [131] جاء فيها، أن زعيم مكة أبا سفيان خرج بعد صلح الحديبية على رأس قافلة تجارية إلى الشام (غزة)، فشاهد الإمبراطور هرقل خارجاً من مدينة حمص حاملاً الصليب وماشياً على قدميه إلى بيت المقدس وقد بسطت له البسط ونثرت عليه الرياحين، وقد ناقش (الفردوسي) [132] تلك الرواية فذكر أن رحلة أبي سفيان التجارية كانت بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة الذي يصادف سنة 630م لأنه بفتح مكة انتهت تجارته وتجارة مكة وبناءً على ذلك فإن وجوده في فلسطين كان إما سنة 628م أو 629م وهي الأرجح، وقد عد المؤرخون هذه الحرب أول حرب مقدسة قام بها العالم المسيحي[133] .

وفيما يتعلق بالدولة الفارسية فإنها بعد عقد ذلك الصلح اضطربت أمورها وانغرست في أرضها بذور حرب أهلية دائمة غذتها الأطماع المادية والطموحات الزعامية، فصار القواد والأعيان يعزلون ملكاً وينصبون آخر، وينتصرون لهذا من ذاك، فخلال المدة الفاصلة بين موت الملك كسرى أبرويز وبين مجيء آخر ملوك الفرس يزدجرد الثالث (632– 651م) تناوب على العرش 12 ملكاً، لم يظهر من بينهم من هو كفؤ لإعادة بناء هيكلية الدولة التي غمرتها الفوضى وانفرط حبل إدرتها وتنظيمها بانفصال بعض الأقاليم عن مركز الحكم واستقلال حكامها[134]، ثم إن المؤامرات التي أودت بحياة ملوك الأسرة الفارسية تسببت في خلق أزمة فيمن يتولى منصب ملك الملوك، ولم يتردد العظماء والقواد المتخاصمين في أن يولوا النساء، مثال على ذلك ابنتا الملك كسرى

---

[129] - الطبري، المصدر السابق، ج1، ص467 . مسكويه، المصدر السابق، ج1، ص150.

[130] - الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص247 .

[131] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج1، ص315 . الطبري، المصدر السابق، ج1، ص485 .

[132] - الفردوسي، المصدر السابق، ج2، ص248 – 249.

[133] - الطبري، المصدر السابق، ج 1، ص468. مسكويه، المصدر السابق، ج 1، ص151. كرستنسن، المرجع السابق، ص474.

[134] - بيرنيا، المرجع السابق، ص275-276 . كرستنسن، المرجع السابق، ص475- 476 .

أبرويز وهما بوران (630–631م) وازرميدخت (631–632م)، ولما دعت الحاجة سنة 632م إلى تنصيب ملك من الأمراء الفرس فتش العظماء عن أمير كان مختبئاً في اصطخر خوفاً على حياته من المؤامرات الدائرة، وكان هذا يزدجرد الثالث الذي بلغ سوء الوضع في عهده حداً لا ينصلح فيه إلا بتغيير جذري، وهذا ما سهل الطريق أمام الفاتحين العرب الذين بدأوا ينشرون دينهم في إنهاء مصير الإمبراطوريتين الكبيرتين، فأزالوا الأولى الدولة الفارسية من الوجود سنة 21هـ/641م، وقلصوا حدود الإمبراطورية الثانية الإمبراطورية البيزنطية وحصروها في جزء من آسيا الصغرى ومركزها في القسطنطينية[135].

الخاتمة:

كان لتطور الأحداث في الربع الأول من القرن السابع الميلادي أثر كبير على المنطقة التي شهدت الأحداث.

فقد استفادت فارس من فترة الهدوء والسلم التي أعقبت استلام كسرى أبرويز للحكم فيها مما ساعده على الاهتمام بشؤونها الداخلية، وتقوية جيوشها والاهتمام باقتصادها، مما مكنه من اختراق الهدنة ونقض السلم بمجرد أن لاح في الأفق سبب لذلك وكان اغتيال صديقه موريس سبباً كبير الأهمية، إذ مكنه من نقض الصلح والعمل على تحقيق أحلامه ببناء دولة مترامية الأطراف تشمل معظم مناطق الشرق القديم، وبيّن توالي الأحداث قوة الجيش الفارسي الذي احتل سوريا وآسية الصغرى وانطلق نحو مصر فاحتلها أيضاً، وكانت هذه ضربة قاسية للإمبراطورية البيزنطية المتعبة من كثرة المشكلات الداخلية، والتي تسعى بكل جهد وبكل قوة للتخلص من هذا الاحتلال. وباءت بالفشل كل وعود هرقل للملك الفارسي بالاقتصاص من قتلة موريس، فما كان منه إلا أن بدأ بعدِّ العدّة ووضع الخطط التي مكنته في النهاية من السيطرة على مقاليد الحكم أولاً، ومن ثم التفرغ لقتال الفرس الذين عاثوا في البلاد خراباً، فسخر كل إمكانيات البلاد لرد

---

(135) - Ghrishman ,Iran from.. ,p.306

الفرس وإخراجهم من بلاده وكان له ما أراد، فتمكن بفضل صبره وحنكته السياسية وقوته العسكرية من إعادة كل ما احتله الفرس. وهكذا انتهت الحروب الفارسية البيزنطية في الربع الأول من القرن السابع الميلادي الذي بدأ بانتصار كبير للفرس، وانتهى بهزيمتهم، وكان القَدَر قد هيأ دولة جديدة انطلقت في شبه الجزيرة العربية، قوضت وأنهت سيطرة كلا الدولتين على المشرق العربي.

المصادر العربية:

. القرآن الكريم.

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2004م .
- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، ليدن، مطبعة بريل، 1927م.
- ابن البطريق، سعيد افتيشيوس، كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1905م.
- التوراة، العهد الجديد، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، د.ت.
- الثعالبي، حسين بن محمد المرغني، غرر السير المعروف بـ غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم، ترجمة، زوتبرغ، باريس، المطبعة الوطنية، 1950م.
- الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق احمد زكي باشا، إيران، مطبعة فروردين، 1914م.
- الحموي، ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي، صورة الأرض، ليدن : مطبعة بريل، 1938م.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، مصر، مطبعة عبد الحميد أحمد، د. ت.
- ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840م.
- الفردوسي، ابو القاسم محمد، الشاهنامة، ترجمة الفتح علي البنداري، تصحيح وتعليق، عبد الوهاب عزام، طهران، 1970م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، إيران، مطبعة أمير، 1373هـ.
- مار ميخائيل السرياني، تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمه عن السريانية مار غريغور لويس صليبا شمعون، تقديم مار غريغور لويس يوحنا إبراهيم، حلب، دار ماردين للطباعة، 1996م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، بيروت، دار القلم، 1989م.
- مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م.
- المقدسي، أبو عبد الله بن أحمد البشاري ت375هـ/985م، أحسن التقاسيم، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1991م.
- مؤلف مجهول، من القرن السابع الميلادي، التاريخ الصغير، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد، بغداد، مطبعة الشعب، 1976م.

المراجع العربية والفارسية:

- إسماعيل، ليلى عبد الجواد، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربية، القاهرة، 1985م.
- اومأن، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة، مصطفى طه بدر ، القاهرة، مطبعة دار الفكر العربي، 1953م.
- بتلر ، الفرد، ج، فتح العرب مصر ، ط 2، ترجمة محمد فريد أبو حديد بك، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1996م.
- بيرنيا، حسن، تاريخ إيران القديم منذ البداية حتى نهاية العهد الساساني، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، مراجعة يحيى الخشاب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت
- جيبون، إدوارد . اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة : محمد علي أبو دره، مراجعة : أحمد نجيب هاشم، القاهرة : مطبعة الكاتب العربي للطباعة والنشر ، 1969م.
- حافظ، فؤاد حسين، تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتى اليوم، القاهرة، دار نوبار للطباعة، 1986م، ص80 –81. رستم، المرجع السابق، ج1، ص225 .
- حبي، يوسف، كنيسة المشرق، بغداد، الموصل، ط3، 1988م.
- حتي، فيليب . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة : جورج حداد وعبد المنعم رافق، مرجعة، جبرائيل جبور ، بيروت : دار الثقافة، 1950م.
- الحديثي، قحطان عبد الستار والحيدري، صلاح عبد الهادي : دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي، بغداد، جامعة البصرة، 1986م.
- داهيم، بهرام، خسرو برويز وجنگهاي بيست وهفت ساله إيران وروم، مقدمة زبيدة جهأنكيري، چاپ سوم، طهران، چاپ قيام، 1376هـ.

- دونالد دولي، "حضارة روما"، ترجمة: جميل يواقيم الذهبي، وفاروق فريد، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1974م.
- رازي، عبد الله، تاريخ مفصل إيران از تاسيس سلسلة ماد تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهرأن، شركة الحاج محمد حسين إقبال وشركاه، 1335هـ، ص83.
- رستم، أسد، الروم في سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، بيروت، دار المكشوف، 1955م.
- رنسيمأن، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكي علي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1961م.
- زرين كوب، عبد الحسين، روزكارأن تاريخ إيران ازا غاز تا سقوط سلطنت بهلوي، تهرأن، چاپخأنة مهارت، 1378هـ.
- سايكس، سير برسي، تاريخ إيران، ترجمه إلى الفارسية سيد محمد تقي فخر داعي كيلأني، چاپ سوم، تهرأن، چاپ افست علي اكبر علمي، 1332هـ.
- الشاعر، محمد فتحي، السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989م،
- الشيخ، محمد محمد مرسي، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الاسكندرية، د. ت.
- طه، صلاح الدين أمين، فتح العرب أرمينية، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد، جامعة بغداد – كلية الاداب، 1970م.
- العابد، مفيد رائف محمود، معالم تاريخ الدولة الساسأنية عصر الأكاسرة 226 – 651م، بيروت، دار الفكر المعاصر ودمشق، دار الفكر، 1999م .
- العارف، عارف، المسيحية في القدس، مطبعة دير الروم الأرثوذكسي، القدس، 1951م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1983م.

- . عاقل، نبيه، الإمبراطورية البيزنطية دراسة في التاريخ السياسي والثقافي والحضاري، دمشق، 1969م.
- . عبد العزيز، وسام، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية 284–1025م، القاهرة، 1982م.
- . العريني، السيد الباز الدولة البيزنطية 323–1081م، بيروت، دار النهضة العربية، 1982م.
- كريسنتسن، آرثر، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف و النشر، القاهرة، 1957م.
- كسواني، جورية حنا . الإدارة والتنظيمات الادارية الرومانية في سوريا (64ق.م – 305م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق : كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2005م.
- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بغداد : مطبعة الرابطة، 1954م.
- لويد، سيتن، الرافدان موجز تاريخ العراق منذ أقدم العصور حتى الآن، ترجمة طه باقر وبشير فرنسيس، القاهرة، 1948م.
- ماسه، هنري وآخرون، تمدن إيراني أنر جندتن ازخاورشناسأن فرأنسوى، ترجمة عيسى بهنام، طهران، مطبعة بهمن، 1337هـ/1958م.
- ملايري، محمد محمدي، تاريخ وفرهنك إيران در دورأن انتقال از عصر ساساني به عصر إسلامي، چاپ دوم، تهرأن، أنتشارات توس، 1379هـ.
- المنجد، صلاح الدين، المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي، إيران، أنتشارات بنياذ فرنك، 1398هـ/1978م.

- موس، هـ، سأنت ل، ب، ميلاد العصور الوسطى 395- 814، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة السيد الباز العريني، القاهرة، عالم الكتب، 1967م.
- نعمة، غطاس، الموسوعة العربية، السلافيون، دمشق.
- نولدكه، تيودور، تاريخ إيرانيان وعربها در زمأن ساسأنيأن، چاپ دوم، ترجمة عباس زرياب، تهرأن، بزوهشكاه علوم أنسأني ومطابعات فرهنكي 1378هـ .
- هسي، ح، م، العالم البيزنطي، تقديم وترجمة وتعليق، رأفت عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م.
- يارشاطر، إحسان وآخرون، تاريخ إيران از سلوكيأن تا فرو باشى دولت ساسأنيأن، ترجمة حسن أنوشه، چاپ سوم، طهران، مؤسسة أنتشارات امير كبير، مطبعة سبهر، 1380هـ.

المراجع الأجنبية:

- Ghirshman ,RomanIran from the Earliest times to the Islamic conquest, London1954.
- Jones, A.H.M. The Later Roman Empire 284-602 "A social, Economic and Administrative Survey'', Oxford,1946.
- Lindsay , JacK, Byzantium in to Europe ,London, 1952.
- Koenigsberger, H.G and Briggs,Asa History of Europe " Medieval Europe 400 –1500", Longman ,New York,1989.
- Ostrogorsky, George. History of the Byzantine State, Translated by, Joan Hussey, Oxford (1968).
- Vasiliev,A.A. History of the Byzantine Empire 324-1453 ,Second Edition ,The Regents of the University of Wisconsin 1952.